

تلك هي

فصلها في العلم والدين

عليها السلام

إعداد

عماد عبد الرحمن الفتوي

لجنة الشقاقة بـ

المجلس الإسلامي

صنعا | ١٤٣٨ هـ



قال الله تعالى:

«ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ»

الشورى: ٢٣

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فاطمة بضعة مني،

فمن أغضبها فقد أغضبني»

تلك هي فاطمة الزهراء عليها السلام

إعداد

حمود عبد الله الأنومي

المجلس  الإسلامي

صنعا - ١٤٣٨ هـ

مخطوطة
مختون

الطبعة الأولى

٢٠١٧م / ١٤٣٨هـ

تنسيق وإخراج: حفظ الله عقيل

Mobial : 774373456 – 737247737
e-mail : hefallahageel@gmail.com

تصميم الغلاف

محمد حسان الشامي



المجلس الإسلامي

الجمهورية اليمنية

البريد الإلكتروني zmagls5@gmail.com

الموقع الإلكتروني www.zaidiah.com

قناة التلغرام: https://telegram.me/zmagls

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، وارض اللهم عن الراشدين من أصحاب نبيك والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

جعل الله أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرناء القرآن، يشرحون أحكامه، ويُعلنون هديّه، وخلفهم رسول الله في أمته أماناً من الضلال، وعصمة من الانحلال، وإذا أرادت الأمة تصحيح مسارها يَمَّمَتْ وجهتها نحوهم لاتخاذهم قدوة حسنة، تصحح من خلالها أخطاءها، وتميز من هديهم ما يقيم أود مساريها.

وما يمارسه عالم اليوم المستكبر من همجية رعناء ضد البشرية المستضعفة، وما نراه من استطالة أنظمة الشر على المسلمين، بل وعلى ما بقي من خير في شعوب الإنسانية بالمسح والانحراف والاضطهاد والاستغلال خارج سياق الفطرة فإنه يحتم على شعوبنا أن تعود لأصولها الأولى، ومصادرنا الصحيحة، وقدواتها الإيانية العالمية.

ولعل أكبر مثالي صارخ تتبختر فيه هذه الحضارة المادية قبحا وإجراما

ضد الإنسانية، هو هذا العدوان السعودي الأمريكي الصهيوني الجاهلي ضد شعبنا، والذي من ضمن ما يستهدفه بدرجة أساسية المرأة، إما بالقتل المتعمد، والإبادة المقصودة، أو بالحرب الناعمة التي تحاول تخفيف قيم المرأة ومبادئها وأخلاقها وشيمها المحافظة واستبدالها بقيم وأخلاق وشيم مغايرة ومخالفة للإسلام، لكي يسهل لهم اقتياد المجتمعات واحتواؤها وتغيير ما بقي من مقومات متينة فيها.

استخدم أعداء الأمة وأعداء شعبنا سلاح الحرب الناعمة من قبل أن يشنوا عدوانهم الوحشي الجبان على بلدنا، لغزو العقول والأدمغة، واحتوائها ضمن منظومات قيمية وأخلاقية تقتاد في نهاية المطاف الشعوب إلى البلاهة والاستحار، وضياح الوجهة الفاعلة والمنتجة، وبهذا يستطيعون الاستمرار في مشاريعهم التمييزية والتدميرية، ولما شنوا العدوان الخشن كانت الحرب الناعمة جبهة عدوانٍ خطير أيضاً، يركّز في الأساس على تصديق الجبهة الداخلية، وإضعاف تماسك المجتمع في ملحمة الصمود الأسطورية التي سطرها شعبنا خلال عامين كاملين.

منذ وقت مبكر كانت المرأة المنفذ الذي يحاولون منه الدخول إلى تنفيذ أغراضهم الدنيئة، مستغلين ومشجعين حالة التجهيل التي فرّضت عليها من جهة، وحالة الانبهار بالغرب والتي أصيبت بها بعض النساء من جهة أخرى، واللائي وإن كن بعددٍ قليل لكن تأثيرهن بقدر الإمكانات التي

تحرص المنظمات المشبوهة على توفيرها فتعطيهم مساحة أوسع للتحرك السلبي في المجتمع.

في كلمته بمناسبة اليوم العالمي للمرأة المؤمنة ٢٠ جمادى الثانية ١٤٣٥ هـ قال السيد عبد الملك الحوثي: "اليوم تتعرض المرأة المسلمة للتأثير باستهدافها لأن تكون متأثرة بالمرأة الغربية التي تختلف معها إلى حد كبير في المبادئ وفي القيم وفي الأخلاق، المرأة الغربية التي كانت إلى حد كبير ضحية، ضحية لعمل كبير استهدفها بدءاً، ثم أرادوا بها ومن خلالها أن تكون هي النموذج غير المنسجم وغير المتوافق للمرأة المسلمة، نموذج لا يتوافق لا مع دينها ولا مع أخلاقها ولا مع مبادئها ولا قيمها الإنسانية، نحن نقول: إن المرأة الغربية كانت ضحية، استهدفت من قبل أولئك المجرمين، المفسدين في الأرض الذين سعوا إلى الانحراف بالمرأة عن دورها ومكانتها ومقامها وكرامتها، وعملوا على أن يجعلوا منها ألعوبة، وأرخصوها إلى حد كبير، حينما أرادوا أن يجعلوا منها مجرد ألعوبة للإغواء والإفساد ونشر الرذيلة والعياذ بالله".

وأضاف قائلاً: "هناك استهداف للمرأة في الحالة القائمة في عالمنا الإسلامي، في منطقتنا العربية، في شعوب أمتنا، هناك استهدافٌ مؤكَّدٌ للمرأة وللرجل جميعاً، والاستهداف للمرأة كذلك في فكرها في ثقافتها في قيمها في أخلاقها، .. تحت عنوان التحضر والحضارة والرقي، وهي

عناوين زائفة؛ لأن إفساد المرأة المسلمة لا يمت بأي صلة للحضارة، لا يمت بأي صلة للحضارة أبداً".

لقد فضح هذا العدوان كل الادعاءات الغربية وكشف بشكل لا مريية فيه حجم النفاق الغربي تجاه المرأة، التي ظلوا يحكون عن حقوقها، ويتغنون بحريتها، ولكنهم اليوم وعلى مدار عامين يشنون حرباً عدوانية عالمية تستهدفها بالدرجة الأولى، إذ هم من يقود العدوان ويزوّدده بالطائرات الحديثة، وبالأسلحة المحرمة، وبالدمع السياسي والغطاء الأممي، وهم يعلمون أن أول الضحايا في هذا البلد هي المرأة، ومع ذلك وبينما يتحدثون بصخب عن حقوقها الجنسية، يسلبونها حقها الوجودي، الذي استهدفته طائراتهم.

هذا ما عبّر عنه السيد القائد في رسالته للمرأة بمناسبة مولد الزهراء، اليوم العالمي للمرأة المسلمة في العام الماضي؛ إذ اعتبر هذا العدوان: "شاهداً أيضاً على زيف وخداع الغرب فيما يحكيه ويدّعيه عن حقوق المرأة وحقوق الطفل، ففي مقابل البترودولار لم يعد الغرب يحكي عن مظلومية المرأة اليمنية التي هي اليوم أكبر مظلومية على وجه الأرض، بل إن أمريكا وبريطانيا وفرنسا ودولاً أخرى هي التي تقدّم للنظام السعودي سلاح الفتك والتدمير بما في ذلك الأسلحة المحرمة دولياً، مثل القنابل العنقودية وغيرها؛ ليقتل بها أهل اليمن نساءً واطفالاً ورجالاً بأبشع صور

الإجرام وحشية.

وفي هذا درسٌ مهمٌ لبعضِ الأخواتِ اللواتي ينظرنَ بإيجابيةٍ إلى نشاطِ بعضِ المنظّماتِ الغربيةِ أو الدولِ الغربيةِ؛ إنِ الوقائعَ والأحداثَ تكشفُ الحقائقَ بما يفوقُ كلَّ المحاولاتِ الراميةِ للتزييفِ والخداعِ؛ وبئسَ ما يفعله الأعداءُ الضالونَ."

إزاء ذلك ولدورِ المرأةِ العظيمِ في مسيرةِ الفطرةِ الراشدةِ، وبناء المجتمعاتِ القويةِ والملتزمةِ، التي تنطلقُ من مفاهيمِ القرآنِ الكريمِ الذي عرّضَ نماذجَ للكمالِ البشريِ الأنثويِ من خلالِ عددٍ منِ النساءِ، فإن من المهمِ أن تتعرفِ المرأةُ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ على سيدةِ نساءِ العالمِ، والتي هي سيدةِ نساءِ هذهِ الأمةِ، والتي هي أيضاً سيدةِ نساءِ أهلِ الجنةِ؛ والتي حرصَ المعتدونُ الغربيونُ وأدواتُهم من الأنظمةِ العميلةِ والمنساقَةِ مع مشاريعِ الغربِ أن يجرّموا الشعوبَ من التطلعِ إلى الكمالِ البشريةِ من خلالِ هذهِ القدواتِ القرآنيةِ الرائدةِ.

دوافع تأليف هذا البحث :

حفزتني عددٌ منِ العواملِ لجمعِ وإعدادِ هذا البحثِ بهذهِ الصورةِ الأوليةِ، ومنها:

- التلبية لحاجة المجتمع اليمني، وقد جوّهنا في لجنة الثقافة بالمجلس مرات كثيرة بضرورة توفير كتيبٍ يترجم للزهراء لمن يريد التعرف

- عليها من أخواتنا وبناتنا لا سيما أولئك العاملات والنشيطات في العمل الحركي الجهادي، فصار هذا جزءاً من خطة المجلس وأنشطته.
- التعريف بفاطمة الزهراء المظلومة قديماً وحديثاً والمغيبّة عن واقع القدوة والأسوة، وتوجيه المرأة اليوم إلى الاتجاه نحو سيدة نساء العالمين لا تحاذها قدوة حسنة بدلاً عن البدائل التي تروّج لها الحضارة المادية، تلك البدائل المتسخة والمشوّهة والمنحرفة التي رسّختها وسائل الإعلام من خلال النجومية الزائفة للمغنيات والماجنات والساقطات.
- معالجة بعض الإشكالات الثقافية والأخلاقية والروحية والاجتماعي لا سيما تلك التي تتطلبها المرحلة الراهنة من خلال الإشارة إلى أهم الدروس والعبر التي يمكننا استفادتها من حياة فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

أهمية البحث:

- ليس هذا البحث هو الأول ولا الأخير، ولكنه رغم طبعته التجريبية هذه، يحاول تقديم قراءة أولية لفاطمة الزهراء وحياتها المتنوعة من خلال ما تيسر من مرويات أهل البيت الصحيحة والمروية في كتبهم المعتمدة.
- يحاول البحث الخروج من الطرق التقليدية للكتابة بالالتزام بمنهجية

البحث التاريخي، أملا في تقديم العظة والعبرة والقُدوة في الدرجة الأولى.
- يحاول التركيز على الجوانب الهامة والمطلوبة في شخصية وحياة الزهراء
بما تتطلبه المرحلة الراهنة اليوم.

اتبع البحث منهج البحث التاريخي، في جمع المعلومات وتصنيفها
وتحليلها ونقدها واستخلاص ما يقارب الحقيقة والمنطق منها، مقدّمًا
المصادرَ والروايات المعتمدة عند أهل البيت، ثم مَنْ سواهم، ومع ذلك
فإنه ينبغي التنبيه إلى أن الكتيب في هذه الطبعة التجريبية ليس سوى قراءة
مقارنة لجزء ضئيل من حياة الزهراء، على أمل فحص موضوعاته مرة
أخرى، واستكمال بعض الموضوعات التي لم يتطرق لها البحث، وأما
الزهراء فهي سيرة حافلة وعطرة لا يستوعب شأنها المجلدات الكبيرة.
والله أسأل أن ينفعنا وأمهاتنا وأخواتنا وبناتنا بما كتبتُ عن الزهراء،
وأن يجعل ذلك من (المودة في القربى)، تلك الفريضة التي هي أجر
الرسول صلوات الله عليه على نعمة الإسلام.

حمود عبدالله الأهنومي

صنعا - ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣٨ هـ

لماذا غُيِّبَ الزهراء؟

إذا كان الأستاذ العقاد يقول في كتابه فاطمة الزهراء والفاطيون: "في كلِّ دين صورة للأئمة الكاملة المقدَّسة، يتخسَّع بتقدِّسها المؤمنون، كأنها هي آية الله فيما خلق من ذكرٍ وأنثى، فإذا تقدَّست في المسيحية صورةُ مريم العذراء، ففي الإسلام لا جرَم تُتقدَّس صورة فاطمة البتول"، فلا أجد ما يسوغُ أو يبرِّرُ لواقعي الاستراتيجية التربوية في اليمن تغييبَ فاطمة الزهراء عن المناهج التربوية في التعليم الأساسي والثانوي والجامعي طوال عقود ماضية غير الخضوع والانسحاق لما تمليه الرغبات الخارجية التي ترى في نموذج الطهارة والعفة خطراً يوجب إخراجه من مناهجنا.

بصراحة لا أستطيع أن أفهمَ أنه لا يوجد درسٌ واحد في دروس التاريخ ولا التربية الإسلامية ولا العربية ولا الوطنية والاجتماعيات في مناهج المدارس التربوية؟! إلا بأنه بسبب استلاب القرار التربوي والسياسي بل والسيادي للبلد من قبل أنظمةٍ تدين بالولاء لليهود والنصارى المعتدين وأوليائهم المنافقين.

لقد تم التغييبُ المُمنهج والمتعمد لنموذج فاطمة الزهراء، وكان هذا أحد تطبيقات استراتيجية التجهيل لشعبنا ونسائنا، غيَّبوها في المناهج، وغيَّبوها في المؤلفات، وفي الصحافة، وفي الحلقات، وفي خطب الجمعة، والمناسبات، ليس

هذا في اليمن فقط، بل في مختلف الشعوب الإسلامية والعربية.

والخطورة أنهم غيَّبوها عن نصف مجتمعا والذي يتحكم في النصف الآخر تربية واتجاهها، غيَّبوها وهي سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، ولا أدري ماذا سيكون حال هؤلاء النسوة وهن لا يعلمن عن سيدتهن إلا ما بقي من قصص وأمثال وعبارات ورثتها عن الأمهات والجدات مما شذ وندر وضمن دوائر اجتماعية ضيقة.

إلى أين ستتجه هذه المرأة التي غرسوا فيها مثل الرجل حب المال والجاه والشهوات أولا وقبل كل شيء، وقد صوروا لها النجاح في تحصيل الأموال وإحراز الوظائف ولو على حساب وظيفتها الأساسية، وأقنعوها أن مشاركتها للرجل هي أن تكون ذات وجه جميل وصوت رخيم تزاحم الرجل في المكاتب والمقرات، وتضفي على جوها طابع الرومانسية واللطافة، وغير ذلك من الأعمال غير المنتجة ولا المفيدة، بينما أوهموها أن التخلف هو ما كانت تقوم به من مشاركة زوجها المشاركة المنتجة في فلاحه الأرض، وتنمية المواشي، وغير ذلك مما يعود بالفائدة على الأسرة والمجتمع كما تحدّث عن ذلك الشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه في ملزمة (لتحدُّن حدو بني إسرائيل).

للأسف غيَّبوها وهي التي أحضرها القرآن الكريم، وكرهوا وجودها وهي التي كان يشتاق النبي ﷺ إلى محضرها ورائحتها، غيَّبوها نموذجا

ومثالا فحضرت أمثلة الانحراف، و نماذج الأتساح، غيَّبوها علما ومعرفة وشجاعة وجهادا لتكون المرأة هي الفتونة بإبراز محاسنها لذئاب البشر، ولصوص الشرف، غيَّبوا كما لاتها الفطرية والإنسانية لتكون المرأة الصالحة هي امرأة ليلة الجمعة، على حدِّ وصف الدكتور شريعتي، والتي لا تعني شيئا للرجل إلا في تلك الليلة، بينما تقضي بقية وقتها الطويل في القيل والقال، وزراعة النائم وحصد الشقاق والطلاق في المجتمع.

غيَّبوها عن الواقع الحضاري الأصيل لتحضُر أنواعٌ مختلفة من النساء، أكثرها رواجاً تلك المرأة المسلَّعة جنسيا بغرض الربح المادي وتهبيج السعار الحيواني وإفساد الحياة الاجتماعية للشعوب المسلمة، والزج بها في أسواق الرذيلة والتفسخ الاجتماعي.

وتتحمَّل مجتمعاتنا الإسلامية بما فيها النخب الدينية جزءاً من هذه المسؤولية التقصيرية حيث خلطت فهما إسلاميا بأخر من العادات والتقاليد، وجعلوا كل ذلك دينا يدينون الله به، فحرَّمت المرأة من حق التعليم، حتى إذا أوجدوا هوة واسعة بين جيلها القديم والمعاصر وصل المجرمون المنحرفون إلى بعض النسوة لاستغلال ردة فعلها المندفعة والدفع بها في الاتجاه السلبي وبما يخدم أعداء الإسلام.

وكانت نتيجة ذلك الإفراط والتفريط أن تقزَّم دورُ المرأة في شراكتها مع الرجل في صنع وخلق الحياة الجادَّة ومظاهرها الواعية والملتزمة،

وانخفض سقف طموحات البعض منهن إلى مستوى سحيق، أو شطحت طموحات البعض الآخر وانحرفت إلى مساراتٍ مغايرة للفترة الإنسانية وتعاليم الدين الحق؛ الأمر الذي انعكس سلباً على أداء المجتمع لوظائفه التي ينبغي أن يقوم بها.

لهذا لا مناص من العودة إلى الأصالة الإسلامية لمواجهة التحديات الراهنة بوعيٍ وبصيرةٍ تُدرك طبيعة الصراع والتفاعلات الحضارية.

مكة وبنو هاشم

تنتمي الزهراء لمكة مكاناً، وبنو هاشم عائلة، وهي البلدة التي ذكرها القرآن الكريم، وسماها (بكة)، و (أم القرى)، و (البلد الأمين)، والتي كانت شعابا في وادٍ غير زرع، لكنها بركة البيت العتيق الذي وضعه الله للناس محجة وقبلة استجاب الله لدعاء نبيِّه إبراهيم عليه السلام لذريته بأن جعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، ورزقهم فيها من الثمرات.

عشية ظهور الإسلام "كانت مكة مركزا مهما في الحجاز، ذا قدسية خاصة، وذا مكانة كبيرة في عالم المال والتجارة، تتحكم فيها مظاهر الجاهلية من التفاخر بالأنساب والأحساب والمال والجاه، وتسيطر عليها نزعة استبداد القوي بالضعيف، وسيطرة الغني على الفقير"^(١).

جغرافية مكة القاسية والقليلة الجدوى في المجال الزراعي، ألقت بظلالها على طباع أهلها وطبيعة تحركهم ونشاطهم الاقتصادي، فهم قساة أشداء، امتهنوا التجارة، واستغلُّوا وجود بيت الله الحرام، والأثر الروحي لجيرتهم له لينتزعوا إيلافا (أمانا) من قبائل العرب بموجبه كانوا يتحرَّكون آمنين بتجاراتهم العابرة للأقطار، لا مريّة أن فتحت هذه الأسفارُ آفاقا واسعة أمامهم، وأكسبتهم مهاراتٍ وحنكة اجتماعية وإدارية متميزة.

(١) جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص ٩١.

نشأت طبقيّة اقتصادية غير حادّة في مجتمع مكة، وكان الغنى أهمّ مظاهر الشرف في وعي أهلها، غير أنه بقي توازناً اجتماعي بين الأسر المكيّة مكنّ من تقاسم السلطات الروحية والاقتصادية والاعتبارية بينها، ورغم شبه الاستقرار الاقتصادي إلا أن قرار الحكم فيها لم يكن مركزياً بل كان شبه توافقي وعبر نفوذ الأشراف من رؤساء قبائل قريش.

ساهمت المرأة في الحياة الاقتصادية في مكة رغم احتقارها من قبل الذكور كما هو شأن العرب الجاهليين، لكنها استطاعت في مكة أن تجد لنفسها مكاناً ما في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وخير مثال على ذلك ما كانت عليه خديجة بنت خويلد ونشاطها التجاري الرائد، ومع ذلك فهناك روايات تفيد أن قريشا دانت بها الجاهليون من وأد البنات، وقتل الأولاد، ولعل ذلك كان يحدث في الأسر والعوائل الفقيرة.

إن مدينة مثل مكة مقدسةً وعاصمة للثقافة الدينية والحياة الروحية للعرب، ونشاط أهلها هو التجارة العابرة للأقاليم المختلفة ذات الثقافات المتعددة، تجعل من أهلها ذوي معارف وقدرات ومهارات مختلفة.

كان بنو هاشم أهمّ أسرة قرشية في مكة عند ظهور الإسلام، ورغم أن سلطتهم الروحية عوّضتهم عما فاتهم من شرف المال، إلا أن هذا لا ينفي وجود وسلطة أسر أخرى كانت تنافسهم، وتُمسك بعض حبال السلطة التوافقية إن صح التعبير، مثل بني عبد الدار، وبني مخزوم، وبني عبد شمس، ومنهم بنو أمية، وغيرهم.

أمها خديجة

اختار الله أن يكون والدُ فاطمة الزهراء هو خير الخلق طراً، وسيد ولد آدم جميعاً، ولا أبوة في الدنيا تساوي أبوتها، ولا شرفَ يداني شرفها، وهذا أمر لا تنفي بمقامه العبارات ولا المجلدات.

أما أمُّها فهي خديجة بنتُ خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي جد النبي ﷺ، من عقيلات قريش المبرِّزات، وأعظمن شرفاً، دُعيت في الجاهلية بالطاهرة لشرفها وعفتها، واستطاعت مع قرشيات أخريات اختراقَ حالة الجاهليين الفكرية المحترقة للمرأة، فصار لهن نشاط تجاري عابر للحدود الإقليمية.

كان جدُّها أسد بن عبد العزى أحدَ أعضاء حلف الفضول، الذي تعاقدت بموجبه قبائل وشخصياتٌ من قريش على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا نصره، وكانوا على من ظلمه عوناً حتى تردّ مظلمته، وكان حلفاً يُعبّر عن ضمير إنسانيٍّ استيقظ لفطرة حب العدالة وكرهه الظلم، وهو الحلف الذي قال فيه رسول الله ﷺ "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحبُّ أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبتُ".

وكان ابن عمّها ورقة بن نوفل بن أسد أحد الذي تنسّكوا واعتزلوا عبادة الأوثان، وهجروا قومهم فتفرّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام^(١).

شاء الله أن تتعرّف خديجة على أمانة وصدق ونبل الفتى الهاشمي محمد وآل بيته لترغب في الزواج منه، ووجدت سبيلا إلى مخاطبته بطريقة غير مباشرة، فتزوّجها، ولما بُعثت كانت هي أول امرأة آمنت بدعوته، وصلت معه هي وعلي عليه السلام سبع سنين لا يوجد لهم رابع، وبذلت أموالها في نصرته، وكانت نعم العون والسند له.

أكرمها الله بأن جعل من نسلها فاطمة الزهراء، التي حفظ الله في نسلها ذرية الرسول المصطفى وآل بيته، فهي جدة آل البيت الكبرى، وأمهم الأولى، ونالت بذلك شرفا عظيما ومجدا فخيبا، وأعظم بذلك من مجد.

توفيت في السنة العاشرة من البعثة بعد خروج بني هاشم من حصار الشعب، أي قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وذلك بعد أن عاشت مع رسول الله حوالي رُبْع قرنٍ كانت له فيها الزوجة الحبيبة والسند القوي والظهير الرائع.

لم ينس رسول الله ذكرها بعد أن ماتت، ولكثرة ذكره لها والثناء عليها استشيرت غيره عائشة، فقالت له يوما: هل كانت إلاّ عجوزاً قد

(١) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٣٧.

أبدلك الله خيراً منها، فغضب، وقال: "لا والله ما أبدلني خيراً منها،
آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذّبني الناس، وواستني في ماها إذ
حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً دون غيرها من النساء"^(١).

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٤٢٨.

إخوتها وأخواتها

أخوها الأكبر هو القاسم، وبه كان رسول الله ﷺ يُكنى، توفي بمكة، ثم زينب، ثم رقية، ثم عبدالله وهو الطيب، ويقال: الطاهر، وُلِدَ بعد النبوة ومات صغيراً، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وكل ولده ﷺ من خديجة إلا إبراهيم عليه السلام فإنه من مارية القبطية، وقد مات أيضاً صغيراً^(١).

أما زينب فولدت سنة ثلاثين من عمره ﷺ، تزوجها أبو العاص بن الربيع، ابن خالتها هالة بنت خويلد، وتوفيت سنة ثمان، وابنتها أمامة، تزوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام بوصية من فاطمة عليها السلام^(٢).

وأما رقية فولدت بعد زينب، وتزوجها عثمان بن عفان في مكة، وتوفيت عنده أثناء وقعة بدر، وجاء البشير بالنصر حال دفنها رضوان الله عليها^(٣).

وأما أم كلثوم، فهي الثالثة وقبل فاطمة الزهراء، تزوجها عثمان بعد موت أختها رقية سنة ثلاث من الهجرة، ولم تلد منه، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة وصى عليها أبوها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في حفرتها علي عليه السلام والفضل بن العباس وأسامة بن زيد^(٤).

(١) المؤيدي، التحف شرح الزلف، ص ٢٢؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٣.

(٢) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٣) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٤) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٩٥٢.

ولادتها

ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى قتل بعض الجاهليين أولادهم خشية الإملاق وخوف الفقر، وهم الفقراء من بعض قبائل العرب، وفيهم نزلت الآيات: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾، ﴿فَدَخَسِرَ الَّذِينَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾. وظاهر لفظ الآيات النهي عن جميع أنواع قتل الأولاد ذكورًا كانوا أو إناثًا وأن جريمة القتل كانت تحدث لأسباب اقتصادية مخافة الفقر والفاقة، إلا أن آية ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ تدل على أن الجريمة كانت أيضا بدافع اجتماعي، وبسبب كون المولود أنثى، حيث كان والد البنت مدفوعا لاتخاذ ذلك الموقف بضغط وعيه المنحرف وبضغط المجتمع وثقافته الجاهلية؛ ولهذا العار الذي يشعر به ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾، ويخبر نفسه لذلك بين أمرين، ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾ يطاله من المجتمع، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾.

لم تكن مكة بمعزل عن ظاهرة الوأد، ويقال: إن بمكة جبلا يقال له

"أبو دلامة" كانت قریش تُد فيهِ البنات^(١) .

وُلِدَت فاطمة الزهراء بعد ثلاثِ أخواتٍ سَبَقَنَهَا، وجاءت هي الرابعة وأثنى أيضا، في مجتمع كان ينظرُ إلى الأنثى كما تقدّم باعتبارها عارا وهونا، وكانت إشراقه الزهراء متزامنةً مع إشراقه فجر الإسلام الذي جاء ثورةً تعيّر كثيرا من هذه المفاهيم والتصوّرات الخاطئة، وكان يهدف فيما يهدف إليه إلى تغيير نظرة المجتمع بطريقة فعلية ملموسة، تُثبِتُ الحقيقة وتنوّر البصيرة، وكانت الزهراء أداةً مغيّرةً من أدوات الحكمة الإلهية لذلك الواقع المرير، ليس في كونها أنثى يحتفي بها والدها النبي ﷺ، بل أيضا في تسيدها على نساء الأمة، ونساء العالمين، ونساء الجنة، ثم بعظيم دورها الذي أنجزته في حياة والدها وبعد وفاته.

تختلف المصادر في تحديد عام ولادتها؛ فهناك من يقول: إنها ولدت بعد البعثة بخمس سنوات، وهناك من يقول: إنها ولدت قبل البعثة بخمس سنوات، وهناك من يروي أنها ولدت في عام البعثة، ويُشكّل على أصحاب القول الأول أنهم يثبتون أنها تزوّجت في السنة الثانية للهجرة وسنها تسع سنوات، وأنجبت ولدها الحسن ﷺ وسنها عشر سنوات، وهذا يستبعد حصوله، لا سيما وهناك روايات عن أهل البيت ﷺ تبين أن سنّها كان عند الزواج ما بين ١٥ سنة، و١٨ سنة، ففي رواية عن الإمام القاسم بن

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٩، ص٩٤، ٩٥.

إبراهيم أن عمرها عند الزواج كان أربع عشرة سنة^(١)، لكنه أيضا يحمل على سن خطبتها وليس البناء بها، وأن البناء لم يتم إلا وهي في خمس عشرة سنة، ويرجح ذلك أنه تم في روايةٍ تحديدُ عمر زفافها تحديداً دقيقاً، وهي خمس عشرة سنة، وخمسة أشهر، ونصف^(٢)، وإذا كانت قد توفيت وعمرها ثلاثاً وعشرون سنة بحسب رواية الباقر عليه السلام^(٣) وأن الإمام علياً عليه السلام بنى بها في السنة الثانية من الهجرة فهذا يعني أن عمرها عند الزواج كان خمس عشرة سنة وخمسة أشهر تقريباً كما ذُكر في تلك الرواية المفصلة، وعلى هذا فالذي يترجح أنها وُلدت في عام البعثة، أو بعده بقليل على أقل تقدير.

وبهذا يتبين أن نور فاطمة عليها السلام أشرق على الحياة يوم أشرق الإسلام؛ ليدفن الإسلام كل مآثر الجاهلية، ويحيي القيم والأخلاق والتعاملات الفاضلة، ويؤد ذلك الموقف البشع والمنحرف من المرأة، ولكأن الإسلام برسوله يريد تغيير هذه النظرة المنحرفة بالمقال وبالفعال، وبالوجدان والسلوك.

رزق الله نبيه ﷺ أولادا ذكورا وإناثا، وشاء الله أن يموت الذكور صغاراً، وتبقى البنات التي يزعم الجاهليون أن وجودهن أسوأ من عدمهن، فسماه القرشيون (أبتر) بسبب هؤلاء البنات، لكن الله أراد أن يقول لهم: إن هذه

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٢٨.

(٢) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٢٨؛ وابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٣؛ والطبري، ذخائر العقبين، ص ٢٠.

(٣) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ١٣٩.

البت التي بسببها وموت إخوتها الذكور سمّيت الأب (أبتر)، فإنه لا بد أن يرزقه الله ويعطيه (الكوثر).

اختصت الزهراء في حال ولادتها بخصوصية إرضاع أمها خديجة لها، وبرعاية رسول الله لها رعاية خاصة وإعدادها إعدادا خاصا، ثم إناطتها بأعمالٍ وأدوارٍ استثنائية كما سيتبين ذلك.

نشأتها

قَدِمَت فاطمة إلى هذه الدنيا مع قدوم الإسلام، وكان العاص بن وائل السهمي قد عيّر رسول الله ﷺ بأنه أبتَر؛ وها هو قد رزقه الله رابع مولود؛ لكنه أنثى، والأنثى مما تغيظُ الجاهليين، فبشّرهُ الله وأعطاه الكوثر، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، والكوثر يشمل مصاديق عديدة، وعلى رأسها ذريته المباركة الطيبة التي ملأت الآفاق.

ورد من معاني الكوثر كما سيأتي: الذرية الكثيرة؛ وبالتالي فالزهراء هي مبدأ الكوثر، أو رمزه، أو سببه الذي أُعطيَهُ رسول الله ﷺ، ويعني الكوثر أيضاً الخير والبركة، والكثرة والامتلاء وكثرة الذرية؛ وبهذا جعلها الله محل البركة، وعنوان العطاء، ومصدر الذرية المباركة، وأم الأبرار الهداة الأعلام.

كانت خديجة أم المؤمنين إذا وَلَدَت ولداً دفعته إلى من يُرَضِّعُهُ، فلما وَلَدَت فاطمة لم تُرَضِّعها امرأةً غيرُها، ولعل الله أراد إكرامها بذلك أولاً، ثم أيضاً للخوف عليها من غائلة أعداء النبي محمد ﷺ، فخديجة تعلم أن دعوة زوجها إلى الإسلام ستسبب لهم المتاعب وتثير عليهم العداوات؛

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة ص ١٣٦.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ١٨٩٣.

ولهذا من الأفضل أن تكون وليدتها الجديدة في مأمنٍ من غائلة تلك الاحتمالات.

نشأت فاطمة في حجر أمها، تُرَضِعُهَا من أخلافها، وتفيض عليها من حنانها، وفي رضاعة الأم ما فيها من أثرٍ جميلٍ، وعائدةٍ حسنة، على صحة هذه الوليدة المباركة، كما هو معروف في علم الطب اليوم.

نشأت سلام الله عليها على يد أمها خديجة، وأبيها محمد عليه السلام في وقت كان الإسلام أيضا ينشأ ويظهر وينمو على يد الرسول الكريم عليه السلام، وبمساعدة مالي أمها خديجة وعونها؛ ولكأن الإسلام والزهراء صنوان جاءا إلى الدنيا على ميعاد.

ترعرعت في كنف أبوين طاهرين، تحفُّها تعاليم جبريل، وهو رَوَّاحُ بها غدَاء إلى والدها، في بيتٍ طالما ملأت أجواءه نسماتُ الوحي، وآياتُ التنزيل، نشأت وأبوها يعوِّذها وذريتها من الشيطان الرجيم، وكان ذلك دأب المرسلين والأولياء المخلصين، ثم هو المصطفى الذي كان يعوِّذ ولديها الحسن والحسين، ويقول: (أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة)، ويقول: (إن إبراهيم عليه السلام كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق عليهما السلام)^(١).

نشأت في بيتٍ ينطلق في أمرٍ جليل، ويسعى لإحداث تغييرات كبرى

(١) العجري، المختار، ص ٦٧٦، نقلا عن تفسير البرهان، للإمام الناصر أبي الفتح الديلمي؛ وأبو طالب، تيسير المطالب، ص ١٤٨؛ والمرشد بالله، الأمالي الإثنيونية، ص ٥١١.

في ذلك العالم، وضمن آثارٍ وردودٍ أفعالٍ مؤلمة وقاسية، ورغم صعوبة مواقف أهل هذا البيت وعظم مسؤوليّتهم؛ إلا أنّها نعمت بحنانٍ قلبيّ أبيّين كبيرين، ومربين عظيمين، وهل هناك أعظم من الرسول الكريم محمد عليه السلام مربيًا، وهل يشابه حنانُ أب عليّ ولِد حنانَه عليّ الزهراء، المرأة الاستثنائية التي هي كوثره عليها السلام، وأم أعلام الهدى من ذريته، حنانٌ يعلم الوقارَ، ويبني النفوس، ويغذي العقول، ويُعدها لأدوارٍ عظيمةٍ لا يقوى عليها إلا أهل هذا البيت في الإسلام.

"لقد نشأت نشأةً جدًّا واعتكاف، نشأةً وقارٍ واكتفاء، وعلمت مع السنين أنّها سلسلةٌ شرفٍ لا منازعٍ فيه من واحدة من بنات حواء فيمن تراه"، نشأت في بيتٍ ربّته تاجرةٌ ذكيّةٌ وعاقلةٌ حصيفةٌ، لها علاقاتها الواسعة، وأمّوها الطائلة، ورئيس هذا البيت قد كُلف بمهمة عظيمة جليمة ومقدسة، أن يُخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويتردّد على هذا البيت أصدقاءٌ وصديقاتُ العائلة ومن تربطهم علاقات التجارة والدعوة به.

تفتحت عين فاطمة مع تفتُّح عين الإسلام، لتجد هؤلاء تحت ظلال هذا البيت الطاهر، الذي بدأ لتوه التبشيرَ بالدين الحق، الدين الذي من شأنه أن يُثير حنقَ الظالمين والمستكبرين وكبراء القوم في مكة وجُلّ العالم. تعلّمت الزهراء في هذا البيت وفي هذه البيئة تعليمها الأولي، كالقراءة والكتابة، والحساب، والمعارف الأولية، فمن أمها التاجرة تتعلم الحساب،

ورياضة الأذهان، ومن عليّ عليه السلام - الذي كان نزىلا على هذا البيت أغلب سني عمره الأولى - تتعلم القراءة والكتابة، ومن الرسول تعلّمت السمّت والهدّي والدل^(١).

تعلّمت الزهراء في دار أبيها ما لم تتعلّمه طفلة غيرها في مكة، آيات من القرآن، وعادات يابأها من حولهم "سمعت القرآن الكريم من أبيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسمعته من باب مدينة علم المصطفى علي عليه السلام، وصلت به ووعت أحكام فرائضه".

ها هي الآن تكبر وترى أهل هذا البيت وهم يتحدثون في أمر جليل، وكيف يواجهه كبراء القرشيين المستهزئين، وهي تراهم (أباها وأمها وابن عم أبيها علياً) يصلون (سبع سنين) لا يراهم أحد إلا هي، وهي التي نمت على أصداء الوحي، وتنفست نسائم الهداية الأولى، ونالت بركات حضور جبريل عليه السلام صباح مساء.

ولا أستبعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نزلت عليه أول آية تأمره بالقراءة، أنه قد دفعها إلى معلّمت أخريات، فهناك رواية تقول بأنه جعلها عند أم هانئ بنت أبي طالب، لرعايتها والقيام بشأنها^(٢)، وتقول أم سلمة إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوّض أمر ابنته الزهراء إليها، فكانت تؤدّبها، وتدلّها،

(١) سيأتي أنها كانت أشبه الناس بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم في الهدى والسمت والدل.
(٢) السيوطي، مسند فاطمة عليها السلام، ص ١١٩، ومع أن الرواية ذكرت أن ذلك كان بعد وفاة خديجة لكننا نستبعد التوقيت؛ كون فاطمة في ذلك الوقت قد أصبحت في سن العاشرة تقريبا، وهو سن يكون فيه الطفل أقوم برعاية نفسه.

فقلت: (وكانت والله أدب مني، وأعرف مني بالأشياء كلها) ^(١). وكلمة الأدب تعني التعليم الأولي، التي تدل عليه صراحه كلمة (أعرف مني).

ثم وهل هناك معلّم يفوق معلم البشرية جمعاء تربية وتعلّيمًا، فما ظننا بفتاة تربّت وترعرعت على يد أعظم معلّم للبشرية؛ لا غرو أنها بلغت مبلغًا عظيمًا في ذلك.

سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء أهل الجنة، وبنت محمد عليه السلام مدينة العلم، وزوج علي عليه السلام باب مدينة العلم، لا يجوز أن تكون إلا متعلّمة ثم عالمة، ووصف السيدة عائشة لها بأنها كانت أكثر الناس شبها برسول الله في هديه وسمّته ودلّه كما سيأتي، يشير إلى المرتبة العالية التي وصلت إليها الزهراء في جانب المعرفة بالهدي الإلهي.

إن صفات فاطمة وأخلاقها وقيمها ومبادئها ومواقفها العظيمة التي اتخذتها بعظمة نفسٍ ورجاحة عقلٍ وقوةٍ موقفٍ - تشير إلى نوع المعارف القرآنية، والأحكام النبوية، والإعدادات التربوية والنفسية التي تلقتها الزهراء على يد أعظم أساتذة العالم على مر التاريخ قاطبة.

صدّقها وشجاعتها، وقوة نفسها، وزهداها، وأدبها، ومعرفتها للأشياء

(١) الطبري، دلائل الإمامة، ص ٨١، رقم ٢١، ورغم أن الرواية تحدد التوقيت بأن ذلك حدث في المدينة عند زواج أم سلمة برسول الله، غير أن فاطمة وقد أصبحت يافعة لا ينسجم حالها وتعليم الآداب والمعارف الأولى، ولعل ذلك حدث في مكة عند صغر فاطمة فالتبس على الرواة التوقيت فقط.

كلها، وحبها للعمل، إلى درجة أنها كانت (تدق الدرمل^(١) بين يديها حتى مجلت يداها)^(٢)، بل نوع تربيتها وطريقة حياتها ومعيشتها على النحو الذي كان عليه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يشير إلى استثنائيتها نشأة وتعليةا وعلما وسلوكا ووجدانا وجهادا.

إنها نموذج المرأة في الإسلام وفي الإنسانية، وكيف يجب أن تكون؛ ولهذا كانت في كل شيء مثار إعجاب زوجة أبيها عائشة، وكذلك مثار إعجاب زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأخريات، ولم لا تكون بنت اليوم نشأة وتعلما ووجدانا كما كانت فاطمة تلك البنت الصغيرة؟!.

(١) هو الدقيق.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ١٥٥.

جهادها صغيرة

في غضون ذلك عاشت الزهراء ظروف الإسلام الأولى في مكة، ورأت أبها كل يوم يحمل على عاتقه مسؤولية تبليغ الإسلام بإصرار عجيب، وتعلمت منه قوته في ذلك، وإصراره وأنسه بالله، واستشعرت معية الله له، وذاقت معه طعم الألم في سبيل الله، ومست خشونة الحياة في مرضاته، بقدر ما تغلغت في أعماقها لذة الطاعة لله، والانشراح مع السعي في ذات الله.

"كم مرة شاهدته عليه السلام يتحدث في الناس كأب رؤوفٍ رحيم يدعوهم برفقة وعطف، وهم يُبعدونه عنه بعنف وخشونة، ولا يجيبونه إلا بالسباب والشتيمة، فيعود وحيداً فريداً"^(١)، فتعلمت معنى أن تكون وحيدة لا يؤنسها إلا الحق الذي تحمله.

هؤلاء الملاء من قريش تعاهدوا يوماً أن يفتكوا بأبيها عليه السلام، وكل منهم كان قد أخذ دوراً معيناً في ذلك، وكانت البنت تسمعهم، فهزعت إلى أبيها تبكي، فقال لها: (ما يبكيك يا بنية؟)، قالت: يا أبا مالي لا أبكي، وهؤلاء الملاء من قريش يُعاهدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فما منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك، فأراد أبوها أن يُذيقها

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص ١٤٤.

حلاوةً لمواجهة اللطافة بشجاعة في الموقف الحق، فقال لها: (يا بنية، اثبيني بوضوء)، فتوضأ، ثم خرج إلى المسجد، فلما رآه قالوا: ها هو ذا، فطأطأوا رؤوسهم، بل وتناولوا قبضة من التراب فحصبهم بها، وقال: (شاهدت الوجوه)، فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصاته إلا قتل يوم بدر كافراً^(١).

وفي مرة من المرات حدث موقفٌ سجَّله عبدُ الله بنُ مسعود، قال: "بينما كان رسول الله يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس، وفيهم عقبة بن أبي معيط الأموي، وكان أسفه قريش، فأطال رسولُ الله السجودَ، فقال أبو جهل: أيكم يأتي جزوراً^(٢) لبني فلان، قد نُجرتُ بأسفل مكة، فيجيء بفرثها^(٣) فيضعه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقاها عقبة، فلما سجد الرسول ﷺ ألقاه ما بين كتفيه، فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض.

قال ابن مسعود: وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحتُه عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ساجد، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية^(٤)، فطرحتُه عنه، ثم أقبلت عليهم توبَّخهم

(١) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ٦١.

(٢) هو الجمل أو الناقة مجزورة.

(٣) مخلفات كرشها.

(٤) هذا الوصف يشير إلى ترجيح أنها ولدت في عام البعثة فتصير جويرية في حال اشتداد إيذاء قريش لأبيها؛ إذ لو كانت ولدت في الخامسة من البعثة كما يرويه بعض المؤرخين لما وصفها ابن مسعود بـ(جويرية)؛ إذ لا تزال طفلة حينئذ.

وَتُعْظِ عَلَيْهِمْ^(١)، وتدعو عليهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، قال ابن مسعود: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر، وألقوا في القليب^(٢).

هذه الرواية تُثَبِّتُ أن فاطمة تلك الأنثى التي تنتمي إلى الجنس المحتقر عند أولئك الأعراب القرشيين، هذه الأنثى الجويرية قويت على ما لم يقو عليه رجل كابن مسعود، وصرحت صرخة الدين والعزة والكرامة في وجوه أولئك الطغاة الذين تجرأوا على إيذاء أشرف الخلق وأطهرهم وأكرمهم.

بل إن الرواية تشير إلى أن رجلاً أسرع بإبلاغ فاطمة بما عمله المشركون، فمن هو ذلك الرجل؟ ولماذا ذهب إلى فاطمة الصغيرة، وقصدها دون سواها من الرجال والنساء؟ لتأتي فتصرخ في وجوههم وتنصر والدها الرسول ﷺ؟

ليس بمستبعد أنه بلغ من حرص الزهراء سلام الله عليها، على نصره أيتها الرسول أن كلفت مَنْ يُبَلِّغُهَا بكل ما يسوء والدها لتأتي هي أنثى صغيرة فتنصر الرسول بما لم يستطع الذكور الكبار أن يفعلوه، وهذا ما يجب أن تعيه فاطمة اليوم، فإنه بإمكانها أن تنصر إسلام محمد ﷺ كما نصرت فاطمة أباها، نصرته لدين الله الذي جاء به.

(١) في الرواية: ثم أقبلت تشتمهم، ولعله من تصرف الرواة وروايتهم بالمعنى، والأليق بها سلام الله عليها أن تكون قد أغلظت عليهم عتاباً وتقريعاً لا شتماً.

(٢) البخاري، الصحيح، ج ٤، ص ٢٢٠، ٢٦، كتاب الجزية، ومسلم، الصحيح، ج ٣، ص ١٤١٨، ١٤١٩، كتاب السير؛ والبلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ١٢٥.

أما لماذا فاطمة وليست زينب الكبرى ولا رقية ولا أم كلثوم، فإنه لاستثنائية فاطمة عليها السلام، ورمزيتها في الإسلام، وكيف أن رسول الله رمز الإسلام وعنوانه كلما أراد الأعداء تشويهه وإيذاءه أو تشويه دينه جاءت فاطمة أو أعلام الهدى من ذريتها ليزيلوا ذلك الإيذاء وذلك التشويه.

وما أعدّل ما نراه من فاطمة اليوم في اليمن صغيرة وكبيرة وهي تقتدي بفاطمة الزهراء قوةً ومبادرةً وصراخاً في وجه الباطل، والطاغوت، والاستكبار والعدوان!

ما أعظم ذلك الموقف بتلك اليدين الحانيتين الصغيرتين، وهما ينفيان عن رسول الإسلام القذارات التي رماها عليه سفهاء قريش وكبرائها! وما أعظم ذلك القلب الكبير موقفاً، والصغير حجماً! وما أكرم وأعز ذلك اللسان وهو يصرخ في وجوه عتولة الاستكبار والاستهزاء، فتخرس ألسنتهم وتتوارى شخوصهم المتعاطمة زورا وزيفاً!.

إن فاطمة عليها السلام في ذلك الجو الجاهلي بثقافته المضادة للمرأة لكونها أنثى كانت رسالة النساء إلى أولئك الأقوام الذين ما فتئوا يجتفرون الأنثى، فكانت "شكل تحرير المرأة في هذا الدين من الظلم الجاهلي، وارثة كل مفاخر أهلها، وصاحبة مبادئ أسلافها في المجتمع الذي لم يكن يرى غسل عار البنت إلا بأودها حية، وأفضل الأصهار الذي يتمناه كل أب هو القبر، كان محمد عليه السلام يعلم ماذا تفعل به يد القدر، وفاطمة تعرف من

تكون، ولهذا وقف التاريخ مدهوشاً أمام تعامل محمد مع ابنته الصغيرة، وركع أمام مديحه غير العادي لها. معاملة كهذه، تعني شيئاً أكثر من التدليل والحب الأبوي الذي يمكن أن يفيض به قلبُ أبٍ على ابنته، أن يقبّل يد ابنته، وابنته الصغيرة، هذا التصرف يعتبر ضربة ثورية انهالت على العوائل والعلاقات غير الإنسانية للبيئة، حيث هناك نبي الإسلام يقبّل يد فاطمة" ^(١).

"هذا التصرف يبين بوضوح لأعين كبار الصحابة وسياسيي المسلمين وعامتهم عظمة فاطمة، ويعلم كل الناس كيف يتحرّرون من العادات والأوهام التاريخية والتقليدية، ويُعلم الرجل أن ينزل من عرش جبروته وتجبره الفظ، وتفرغه أمام المرأة، مشيراً إلى المرأة أن ترتفع عن ذلتها وحقارتها القديمة والجديدة، في كونها ألعوبة في الحياة إلى قمة الجلال والعظمة والعفة الإنسانية" ^(٢).

فهل نتعلم نحن الرجال من الرسول صلوات الله عليه وآله كيف نفرّق بين ما هو عادة اجتماعية، وما هو حكم إسلامي في ما يتعلق بالمرأة، وهل تتعلم المرأة اليوم كيف تتمرد وتثور على الصورة الشائثة والنمط المتسخ الذي يحاول أعداء الفطرة ترسيخه لها بأن تكون مجرد تسلية للذكور، ومجرد قالبٍ جنسي محموم تنتهي إليه فحولتهم؟

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص ١٤٢.

(٢) المرجع السابق.

أسمائها وألقابها

قال الإمام الحسن بن بدر الدين (ت ٦٧٠ هـ): وروينا عن الصادق عليه السلام: لفاطمة ثمانية أسماء: الصديقة، والزهراء، والظاهرة، والزكية، والرضية، والمرضية، والبتول، وفاطمة^(١).

أما اسمها فاطمة فهو مشتق من الفطم بمعنى القطع، يقال: فطمت الأم صبيها، وفطمت الرجل عن عاداته، إذا قطعت عنها. واسم (فاطمة) مشهور عند العرب، ومتداول بينهم بكثرة، وقد بلغ عدد الصحابييات المسميات بفاطمة ٢٤ صحابية^(٢)، لكن لشريعة الاسم في حق الزهراء، فهذا يعني أن فاطمة عليها السلام قد منعت نفسها ابتداءً من مواقعة المعصية، وكذلك من كثير من الأشياء المباحة، فمنعها الله من النار انتهاءً وجزاءً.

إن هناك خصوصية جزائية واستثنائية تكريمية من الله لها تسلط الضوء على سبب التسمية أيضاً؛ إذ أنه فطمها وفطم أولادها ومحبيها من النار، ممن كان منهم على التوحيد والإيمان، والعمل الصالح؛ فقد روى الإمام الرضا بسنده عن آبائه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما سميت ابنتي

(١) أنوار اليقين في إمامة أمير المؤمنين - خ -؛ والهادي بن إبراهيم الوزير، نهاية التنويه في إزهاق التمويه.

(٢) تاج العروس، مادة فاطمة.

فاطمة لأن الله تعالى فطمها و فطم من أحبها من النار^(١). وفي رواية أخرى من طريق أهل البيت عليهم السلام عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - يَقُولُ: (إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ لِأَنَّ اللَّهَ فَطَمَهَا وَذَرِيَّتَهَا مِنَ النَّارِ لِيَنَّ لِقَىَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِمَا حِثَّتُ بِهِ)^(٢).

وهذا يبيِّن أن التسمية لفاطمة عليها السلام كانت تسمية توقيفية، من الله عز وجل، أوحى بها إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ الأمر الذي يبيِّن أيضا أن مولدها كان بعد نزول الوحي، وهو يرجح ما ترجح سابقا من أنها وُلِدَتْ في عام البعثة.

ولا شك أن من يُحِبُّها بصدق وإخلاصٍ ومعرفةٍ فإنه يعني أنه محبٌ لقيم الحق والشجاعة والعفاف والشرف، ومكارم الأخلاق، التي تحلَّت بها الزهراء سلام الله عليها، ومن يكون كذلك فإنه "يقترن بحب خصال الخير وعقائد الحق التي كان ينطوي عليها قلبها الطاهر، مع الانقطاع عن كل ما يمتُّ إلى الشر بصلة من الظلم والبغي والعدوان"^(٣)، وهذا ما يؤهله لأن يكون مفظوما من النار، ويسبب له أن يتجنَّب المعاصي المسخطة لله تعالى، ويسارع في مرضاته.

(١) صحيفة الإمام الرضا، ص ٨٩.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنيية، ص ٢٢٨؛ وينظر الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، ج ٢، ص ١٨٨.

(٣) الكعبي، سيده النساء فاطمة الزهراء، ص ٢٧ - ٢٨.

وأما لقب الزهراء: فهو من الزهر، والأزهر من الرجال: الأبيض العتيق
البياض النير الحسن، وهو أحسن البياض كأن له بريقاً ونوراً يزهر كما يزهر
النجم^(١)، والأنثى من ذلك: زهراء. قال ابن الأثير: في صفته عليها السلام (أنه كان
أزهر اللون)، والأزهر: الأبيض المستنير: والزهر والزهرة: البياض النير وهو
أحسن الألوان^(٢)، وإذا عرفنا مشابهة فاطمة لأبيها اتضح لنا بشكل جيد مأخذ
تسميتها أو تلقيها بالزهراء.

وقال ابن الأثير أيضاً: ويراد به إشراق نور إيمانها، وإضاءته على إيمان
غيرها^(٣). وقال المناوي: سُميت بالزهراء؛ لأنها زهرة المصطفى عليه السلام^(٤).
وارتجت بعض أزواج النبي عليه السلام في زفافها عليها السلام قائلة:

فاطمة خير نساء البشر ومن لها وجه كوجه القمر
فضلك الله على كل الوري بفضل من خص بأي الزمر^(٥)

و"يستفاد من جملة الأحاديث والأخبار أن فاطمة عليها السلام عرفت
بالزهراء لجمال هيئتها والنور الساطع في عرتها، فهي مزهرة كالشمس
الضاحية، ومشرقة كالقمر المنير"^(٦).

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة زهر.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٨٠٤.

(٣) ابن الأثير، منال الطالب، ص ٥٠٨.

(٤) المناوي، إتحاف السائل، ص ٢٤.

(٥) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٣، ص ٣٥٥.

(٦) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص ٢٨.

وأما لقب البتول: فالبتل في اللغة هو القطع، والتبتل هو الانقطاع إلى الله، والإخلاص إليه إخلاصاً^(١)، وسئِل ثعلب وهو من أئمة اللغة: لم قيل لفاطمة بنت رسول الله ﷺ البتول؟ فقال: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافاً وفضلاً ودينياً وحسباً^(٢). وأضاف صاحب القاموس: ولانقطاعها عن الدنيا^(٣)، أما الخطابي فقد قال: فأما فاطمة فإنما قيل لها البتول؛ لأنها منقطعة القرين نبلا وشرفاً^(٤). وهو معنى ما ذكره ثعلب، وأضاف ابن منظور أيضا: وامرأة مُبْتَلَةٌ الخلق أي منقطعة الخلق عن النساء، لها عليهن فضل؛ من ذلك قول الأعشى:

مُبْتَلَةٌ الخلقِ مِثْلُ المَهَاةِ ةٍ لَمْ تَرَشَّمْ سَأَلاَ وَلا زَمَهْرِيراً^(٥)

وهي معانٍ تتوافق وما كانت عليه فاطمة من العبادة لله، والإخلاص له، والانقطاع إليه، والسيادة والفضل على نساء العالمين.

وما ذكره البعض من كونها لا تحيض، فهذا لم يصح في روايات أهل البيت عليهم السلام^(٦)، وكذلك لم يُعجَبْنِي قولُ الإمام الزمخشري رحمه الله: إنما

(١) الخليل، العين، ج ٢، ص ٣٨.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٥، ص ١١؛ والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ٣، ص ٥٣؛ وابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٢.

(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ٣، ص ٥٣.

(٤) غريب الحديث، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٢.

(٦) الهادي يحيى بن الحسين، الأحكام، ج ١، ص ٢٤٦؛ وأحمد بن عيسى، أمالي أحمد بن عيسى، (رأب الصدع، ج ١، ص ٦٤٦).

سمّيت بذلك تشبيهاً بمريم البتول، المنقطعة عن الرجال؛ لأن مدلولات المعنى اللغوي حاضرة بقوة في الزهراء فاطمة عليها السلام أصالة من دون تشبيه.

وأما ألقاب الصديقة، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمرضية، فإنها ألقاب تشير إلى أوصافها العظيمة، من الصدق، والطهارة، والزكاء، والرضا منها وعليها.

وصفها الخَلْقِي

شاء الله أن تكون هذه الأنثى امتداداً أبيها، وتحمل في جيناتها أعلام الهدى الذين يخلقون الرسول في أمته قائمين بالحق؛ ولهذا منحها الله خصوصيةً استثنائيةً أخرى، ألا وهي شَبْهُهَا القويُّ برسول الله صلى الله عليه وآله حتى في مشيتها، ويمكنُ استيحاء شخصيتها الجسدية والخلقية من صفات والدها الرسول الأ نور، ذي الجبين الأزهر، صلى الله عليه وآله.

ولقب الزهراء بيمين جمال هيتها، ويشي بالنور الساطع من عُزَّتِها، وهي صفات تُلَقَم حجراً أفواه أولئك المستشرقين الذين حاولوا تصويرها بأنها لم تكن كذلك.

قالت أم أنس بن مالك: "كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر، بيضاء مُشْرِبةً حُمرةً، لها شعرٌ أسود، من أشدَّ الناس برسول الله شَبْهاً"^(١)، قال عبدالله بن أنس بن مالك، أحد رواة سلسلة الخبر، كانت والله كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيب عنه وهو جثل أسحم^(٢)
فكأنها فيه نهار مُشرق وكأنه ليل عليها مظلّم^(٣)

(١) الحاكم، المستدرک، ج ٣، ص ١٧٦، رقم ٤٧٥٩؛ وحمزة الجرجاني، تاريخ جرجان، ص ١٧٠.

(٢) جثل الشعر: كثرة والتف واسود، والأسحم: الأسود.

(٣) حمزة الجرجاني، تاريخ جرجان، ص ١٧٠.

فاطمة في القرآن

تحدّث القرآن الكريم عن الزهراء باعتبارها من أهل بيت نبيها المصطفى والصلى الله عليه وآله وذوي قرباه ونسائه، ومن الأبرار الزاكين.

١ - يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، تقول الروايات المتكاثرة: إنه لما أنزل الله هذه الآية دعا النبي والصلى الله عليه وآله فاطمة وعلياً والحسن والحسين، فجللهم بكساء يمانى، وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي)^(١)، وبعد نزول هذه الآية مكث والصلى الله عليه وآله مدة طويلة يأتي منزل فاطمة كل غداة فيقول: (الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)^(٢).

وأما الرجس الذي أذهببه الله عنهم، وطهرهم تطهيراً، فهو "الفعل الرديء النجس من المعاصي والأدناس، والأسفاه"^(٣) التي تكون في بعض

(١) أخرجه مالك، وأحمد بن حنبل، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والدارقطني، والحاكم، وأبو الشيخ، والطبراني، والبيهقي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن عساكر، وابن مردويه، وابن المنذر، وعامة المحدثين، ورواه أهل البيت بأسانيدهم إلى أمير المؤمنين، والحسن السبط، وفاطمة الزهراء، وابن عباس، وعبدالله بن جعفر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأنس بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم. (ينظر المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ١، ص ٥٥).

(٢) ينظر ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٥٤٣؛ وينظر المصادر السابقة.

(٣) جمع سفه.

الناس، فأمر الله سبحانه النبي ﷺ وأمر أهل بيته بتقواه وطاعته، وترك النجس من جميع معصيته، بما أذهب عنهم من كل رجس أو دنس، وبعدهم من كل معصية ونجس" (١).

إن هذه الآية تؤكد أن الله أراد أن يُذهب عن السيدة فاطمة الزهراء وأهل بيتها كل رجس، وما أراده الله كان، وأكد ذلك بإرادته تطهيرهم تطهيراً. وبالتالي بهم معصومون عن ارتكاب الآثام.

٢- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، وتسمى آية المباهلة، عندما كابر نصارى نجران الحجة، أمر الله بدعوتهم إلى المباهلة، أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت آية المباهلة، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: (هؤلاء أهل بيتي) (٢). وهنا يتبين أن القرآن الكريم عبّر عن الزهراء بـ(نساءنا)، حيث مثلت نساء الأمة باعتبارها سيدة نساء هذه الأمة، وأكرم بها من فضيلة ومنقبة، ولكونها كذلك صح إطلاق لفظ الجمع عليها.

٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي، ج ٢، ص ٦٢٠، مسائل القاسم رقم ٢٠٢.

(٢) مسلم، الصحيح، ج ٤، ص ١٨٧٠، رقم ٢٤٠٤.

حَسَنَةٌ نَّزِدُ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١﴾، روي أنها لما نزلت قالوا: يا رسول الله، من قرأتك الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال: (علي وفاطمة وولدهما) ^(١)، وذوو القربى هم ذرية رسول الله ﷺ ^(٢)، وأول تلك الذرية ورمزها ونهر كوثرها هي الزهراء؛ يقول فقيه القرآن العالم المجاهد بدر الدين الحوثي: "والحكمة في ذلك أن الناس إذا أحببهم أتبعوهم، فتعلموا منهم، واهتدوا بهداهم، بخلاف ما إذا أبغضوهم، فإنهم يتباعدون عنهم، ويتنكبون لإرشاداتهم، ويتركون الاقتداء بهم" ^(٣).

٤- هي من الأبرار الذين وردت آيات سورة الإنسان في فضلهم وما أعد الله لهم من الإكرام؛ وذلك لما نذرت مع أهل بيتها بالصيام، فلما حان وقت إفطارهم جاءهم مسكين ويتيم وأسير يسألونهم، فأعطوهم أقراص إفطارهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرِبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا

(١) خبر مشهور مروى عن جماعة من الصحابة، أخرجه الحسكاني من طرق، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، وإسحاق، وعبد بن حميد، والحسن بن سفيان، والبغوي، والثعلبي، والمرشد بالله من طريقتين، والحاكم، وابن حنبل، وابن المغازلي.

(٢) الحوثي، التيسير في التفسير، ج ٦، ص ٣٦٥.

(٣) الحوثي، التيسير في التفسير، ج ٦، ص ٣٦٥.

وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ
 مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً
 وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا
 يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَذَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْرُفُهَا تَذَلِيلًا *
 وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرٍ مِّن فِضَّةٍ
 قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى
 سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا
 مَّنثورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ
 وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِّن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ
 لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا * من سورة الإنسان.

نزلت هذه الآيات في أهل البيت هؤلاء^(١)، ووصفتهم الآيات بأنهم
 أبرار، ويوفون بالنذر، ويخافون اليوم الآخر، ويُطعمون الطعام على
 حاجته، ولو وجه الله، وبغير جزاء ولا شكور، وأنهم يخافون يوماً عبوساً
 قمطريراً، ولهذا جزاهم الله بالفضل العظيم والخير العميم.

إذن الفضل جاءهم من قبل أعمالهم، حيث بادروا بأفعال طيبة وخيرة
 مواكبة لانفعالات اعتقادية وذات دلالة ضميرية، في ما بينهم وبين الله عز

(١) رواه الإمام الهادي في الأحكام، والسيوطي في الدر المنثور، وغيرهما. ينظر التيسير في
 التفسير ج ٧، ص ٣١٥-٣١٦.

وجل، من الصيام وإيفاء النذر، والخوف من الله واليوم الآخر، وعذابه، وتترجمت هذه الاعتقادات إلى أفعال سلوكية، فأطعموا الطعام على حبه؛ لهذا مدحهم الله ذلك المدح، وجازاهم ذلك الجزاء.

٥- امتن الله على نبيه ﷺ أنه أعطاه الكوثر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثِرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ*﴾. قال الإمام زيد: الكوثر: هو الخير الكثير^(١)، وقال الإمام القاسم بن إبراهيم: الكوثر هو العطاء الأكبر. قال السيد المجاهد بدر الدين الحوثي: وهو عام لنعم الله التي أنعم بها على رسوله ﷺ. وذكر أيضا أنه لا مانع من تفسيره بكثرة الذرية إلى جانب كل ما يشملها عموم اللفظة من المصاديق الكثيرة^(٢)؛ ولا شك أن الزهراء هي رمز الكوثر، ومُنْطَلَقُهُ.

(١) تفسير غريب القرآن للإمام زيد.

(٢) التيسير في التفسير، ج ٧، ص ٥٩٣، ٥٩٤.

فاطمة في كلمات الرسول الكريم وتعاملاته

يمكن إجمال بعض فضائلها التي وردت في كلام المصطفى صلى الله عليه وآله ومواقفه في التالي:

١- أن الله يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: (إن الله تعالى يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها) ^(١).

٢- أنها بضعة منه صلى الله عليه وآله، يؤذيه ما آذاها، ويُغضبه ما أغضبها، فعنه صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني)، وفي رواية أخرى: (فإنها هي بضعة مني يريئني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها) ^(٢)، وفي رواية: (إنما فاطمة شجنة مني يسطني ما يسطها، ويقبضني ما يقبضها) ^(٣).

(١) رواه أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الرضا في صحيفته، ص ٩٠، والإمام المرشد بالله في الأمالي الإثنيية، ص ٢٢٤، والإمام القاسم بن إبراهيم، كما نقل عنه الإمام أحمد بن سليمان في حقائق المعرفة، (فصل إمامة الإمام زيد بن علي عليه السلام)، وأخرجه المحدثون، ومنهم ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني، ج ٨، ص ٣١٣، رقم ٢٦٢٤، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، ج ٢٢، ص ٢٠٦، رقم ٦٧٠٤، والحاكم في المستدرک ج ١١، ص ٣٨، رقم ٤٧١٣، وقال: صحيح الإسناد، والطبراني في الكبير، ج ١، ص ١٠٨، رقم ١٨٣، ج ٢٢، ص ٤٠١، رقم ١٨٨٥٣، وآخرون.

(٢) ينظر البخاري، الصحيح، ج ٣، ص ١٣٦١، رقم ٣٥١٠.

(٣) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١٦٨، رقم ٣٧٣٤؛ والطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٤٠٥، رقم ١٠١٤.

والبضعة بالفتح: القطعة من اللحم، وقد تُكسر، أي أنها جزء منه عليها السلام، كما أن القطعة من اللحم جزءٌ منه^(١)، والشجنة بضم الشين وكسر ها: الرجم المشتبكة، وأصلها شعبة من غصن من غصون الشجرة^(٢).

وهذا الحديث برواياته المتعددة يبيّن خطورة إغصاب فاطمة أو إيذاءها، أو إقباضها وأن ذلك بمثابة إغصاب رسول الله أو إيذائه، أو إقباضه عليها السلام، وكان عليها السلام بهذا يُعطي درسا عظيما وكبيرا في أهمية الالتزام بالمبادئ الدينية، والأحكام الشرعية، ويحذر من خطورة الانحراف الذي دليل انحرافه إغصاب فاطمة سلام الله عليها.

كما يشير إلى رمزية فاطمة عليها السلام؛ لكونها أمّ ذريته الذين بهم صلاح الأمة وهدايتها، وأكد الرسول عليه السلام أنها قطعة منه، وأن حكم هذه المرأة حكمه في مجتمع كان يهين المرأة ويحتقرها، ويعتبرها عارا وشنارا.

٣- وصفها الرسول عليه السلام بالسيادة، فمرة بأنها سيدة نساء هذه الأمة، ومرة بأنها سيدة نساء العالمين، وثالثة بأنها سيدة نساء أهل الجنة، ووردت أحاديث كثيرة بذلك في كتب المسلمين جميعا^(٣)، وصار هذا معروفا

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٣٤٥، ط ١٩٧٩ م.

(٢) لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٣٢، مادة شجن.

(٣) ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٥؛ والإمام زيد، مسند الإمام زيد، ص ٣٦٢، بلفظ "خير نساء العالمين".

عند المسلمين^(١)، كما ورد وصفها بأنها (سيدة نساء المؤمنين)^(٢)، وأنها (سيدة نساء هذه الأمة)^(٣)، وأنها (سيدة نساء أهل الجنة)^(٤)، وهي أوصاف عظيمة تفرّدت الزهراء بها لفرادتها فضلا وبركة، وتفردتها عملا وإنجازا.

إنها نموذج المرأة المؤمنة؛ إذ هي سيدة نساء هذه الأمة، وهي نموذج المرأة العالمية إذ هي سيدة نساء العالمين، وهي نموذج المرأة التي تبتغي طريق الجنة؛ إذ هي سيدة نساء أهل الجنة، فنساء هذه الأمة يجِدْنَ في الزهراء نموذجهن القرآني، الذي ينبغي التأسّي به في جميع مجالات تحركها، وهناك من المفاهيم والقضايا والمبادئ الإنسانية والفطرية ما يجعل المرأة العالمية، تجد ضالّتها المنشودة في نموذج الزهراء سلام الله عليها، وهناك فيها سلام الله عليها من المواصفات الإيانية ما تجد فيها المرأة المؤمنة التي تبتغي الجنة طريقها إليها.

إنها نموذج الحرية والكرامة والعلم والعدل والإنصاف والتواضع

(١) الرازي، أخبار فخر ويحيى بن عبدالله، ص ٦٠.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنيية، ص ٢٤١؛ والبخاري، الصحيح، ج ٥، ص ٢٣١٧، رقم ٥٩٢٨؛ ومسلم، الصحيح، ج ٤، ص ١٩٠٤، رقم ٢٤٥٠.

(٣) المرشد بالله، الأمالي الإثنيية، ص ٢٤١؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٤.

(٤) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ٣٤٨؛ والبخاري، الصحيح، ج ٣، ص ١٣٢٦، رقم ٣٤٢٦؛ ومسلم، الصحيح، ج ٤، ص ١٩٠٤، رقم ٢٤٥٠.

والإنسانية والإيثار والتفضل وقوة الموقف، واعتداد المرأة بكرامتها الآدمية، وحسن التربية، بما يغني أيَّ امرأة اليومَ عن الاتجاه إلى نموذجٍ آخر، وهي تتوق إلى جميل المبادئ، وروعة العفاف، وقوي المواقف.

٤- وردت أحاديث كثيرة تضعها سلام الله عليها ضمن أربع نسوةٍ من العالم فُقِن نساء العالم خيرية وأفضلية من أول الدهر إلى آخره؛ فمنها حديث عكرمة عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، امرأة فرعون)، وحديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد)، ومنها رواية عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (خير نساء العالمين أربعٌ، مريم بنت عمران، وابنة مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ) (١).

وبمقارنة هذه الأحاديث بما قبلها فالذي يتضح أن الرسول ﷺ حين نصَّ على هؤلاء الأربع إنما أراد التعريف بأفضل نساء الجنة والعالم كمنهاج متعددة في أمم مختلفة، بينما حين خصَّ فاطمة بتلك الأوصاف العظيمة، فإنه أراد أنها سيدة النساء في هذا العالم، وفي الجنة، وعلى جميع النساء بما

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٢١-١٨٢٣،

فيهن أولئك الثلاث النساء الفاضلات، وهن مريم وخديجة وآسية سلام الله عليهن.

إنها النموذج الأنثوي للكمال البشري، الذي يُضرب مثالا في القدوة الصالحة، فمحمد صلى الله عليه وآله نموذج الرجال، وهذه المرأة التي هي قطعة منه، نموذج النساء، إنها خصوصية هذه الأنثى المصطفاة واستثنائيتها.

٥- كان صلى الله عليه وآله يُفضّل الزهراء، ويعتبرها أحب النساء إليه إطلافاً، وهي محبة من نوع خاص؛ فعن بريدة قال: (كان أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، ومن الرجال علي بن أبي طالب)^(١). ودخل جميع بن عمير على عائشة فسألها: أي النساء كانت أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: فاطمة، قال: قلت: فمن الرجال؟ قالت: زوجها؛ إذ كان ما علمته صوّماً قواماً^(٢).

إن هذه المحبة التي حازت المرتبة الأولى عند هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله لهذه الأنثى الكريمة هي التي دل عليها النبي صلى الله عليه وآله عندما أعلن تمسكه بإجراء أحكام الله حتى بأحب الخلق إلى قلبه وهي فاطمة، عندما قال: (والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها)، وهو بهذا يشير بوضوح إلى أن الحق أقوى من أحب الخلق إليه، وهي فاطمة صلوات الله عليها.

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٦؛ والحاكم، المستدرک، ج ٣، ص ١٦٨، رقم ٤٧٣٥، وصححه الذهبي؛ والترمذي، السنن، ج ١٤، ص ٢٣، رقم ٤٢٤٢.
(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٦؛ والحاكم، المستدرک، ج ٣، ص ١٧١، رقم ٤٧٤٤؛ والترمذي، السنن، رقم ٤٢٤٢.

٦- أشبهت أباها الرسول ﷺ في هديه وسميته؛ لذا كان من الطبيعي أن تكون أحب النساء إلى قلبه ﷺ؛ لأنها كانت امتدادَه الشريف، ونهر كثره الجاري عبر الزمن، ولأنها بضعة منه، وغصنٌ أزهر من شجرته المغدقة، وأم ذريته الطاهرة، ووالدة أعلام الهدى الميامين من أهل بيته.

من الطبيعي أن تكون كذلك وهي تشبهه في كل شيء، تشبهه في كلامها، وحديثها، وصدق لهجتها، وفي سميتها، وفي هديها، وقعودها وجلوسها، تقول عائشة: "مارأيت أحدا أشبه كلامه وحديثه برسول الله ﷺ من فاطمة"، وتقول: (مارأيت أحدا كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها)^(١)، وفي رواية: (مارأيت أحدا أشبه سمياً^(٢)، ودلاً^(٣)، وهدياً^(٤) برسول الله ﷺ من فاطمة بنت رسول الله في قيامها وقعودها)^(٥)، وقد لاحظت عائشة مشابهة فاطمة لأبيها حتى في حالة المشي، قالت وقد روت مجيء فاطمة عليها السلام إلى أبيها قبيل وفاته: (لا والله ما تخفى مشيتها عن مشية

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنيونية، ص ٢٣٣، وابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٥.

(٢) السميت: عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان، من السكينة والوقار وحسن الطريقة واستقامة المنظر والهيئة.

(٣) الدل: الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشاغل. وهو مقارب للسمت.

(٤) الهدى: السيرة والهيئة والطريقة.

(٥) الحاكم، المستدرک، ج ٤، ص ٣٠٣، رقم ٧٧١٥، وقال الذهبي: صحيح؛ والترمذي، السنن، ج ١٤، ص ٢٧، رقم ٤٢٤٦. باب فضل فاطمة؛ وأبو داود، السنن، ج ٤، ص ٥٢٣، رقم ٥٢١٩، باب ما جاء في القيام.

رسول الله ﷺ ^(١)، أو (تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ) ^(٢)، هذه المشابهة العميقة توحى وتشير إلى قوة التأثر والاهتداء والاقتداء من فاطمة بأبيها الرسول ﷺ.

٧- خصَّها رسول الله ﷺ بتعاملات كثيرة، أراد من خلالها ترجمة تلك الفضائل القولية إلى احترامٍ وتبجيلٍ فعلي، فمنها:

أ- أنه كان إذا دخلت عليه قام إليها، فقبلها، ورحَّب بها كما كانت هي تصنع به ^(٣).

ب- كان يقبلها دائماً، تقول السيدة عائشة: (كنت أرى رسول الله ﷺ يقبِّل فاطمة)، وكان ﷺ يشم منها رائحة الجنة، فإذا اشتاق إلى رائحة الجنة شمَّ ريح فاطمة ^(٤)، وفي الحديث: (فاطمة حوراء إنسية، كلما اشتقت إلى الجنة قبَّلتها) ^(٥).

ج- كان ﷺ إذا سافر يجعلها آخر الناس به عهداً، وإذا قدم قدم إلى بيتها أولاً، فكانت أول الناس به عهداً، كما روى ذلك ابن عمر، خلا أنه في

(١) البخاري، الصحيح، ج ٥، ص ٢٣١٧، رقم ٥٩٢٨.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنية، ص ٢٤١؛ وأحمد، المسند، ج ٦، ص ٢٨٢، رقم ٢٦٤٥٦.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٦.

(٤) المرشد بالله، الأمالي الإثنية، ص ٢٢٦.

(٥) المرشد بالله، الأمالي الإثنية، ص ٢٢٧؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٨٧،

رقم ٢٤٨١.

بعض الروايات كان إذا قدم بدأ بالمسجد فصللي فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة (ع) ثم يأتي أزواجه^(١).

د- كان ﷺ إذا بكى يمسح الدموع من عينيها بطرف ثوبه^(٢)، واستمر على ذلك حتى مرض موته؛ إذ لما بكى وسمع ﷺ صوتها "ففتح عينيه، ثم رفع يده، فمسح خدها من الدموع"^(٣). ولعله كان يعزُّ عليه أن يراها باكية؛ لأنها بضعة منه، وأراد أن يعلم أمته أنه لا يجوز أن تصنع أو تفعل ما من شأنه أن يُبكي فاطمة، وأن تعمل هذه الأمة على أن لا تُغضبها، وأنه يجب أن تكون مع ما يُسعدُّها ويحفظ دموعها.

هـ- وكانت تضع خدها على خده، ومرة وضعت خدها على خده فبكت حتى اخضلت لحيتته ووجهه بدموعها^(٤).

و- وكان إذا دعاها أجلسها بالقرب منه، وأسّر إليها دون من سواها، ولما دنا أجله دعاها إليها فجاءت (فوضع رأسه في حجرها ساعة)، وخصها بحديثٍ أسرّه إليها فقط، وخصّها به دون نساءه، فرأينها تبكي مرة، ثم تضحك أخرى، ولم يعلمن سبب ذلك إلا بعد موته ﷺ من خلاهما^(٥).

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٥.

(٢) العجري، إعلام الأعلام، ص ٣٤٤.

(٣) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص ٢٤٩.

(٤) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص ٢٤٥.

(٥) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص ٢٤٥؛ والمرشد بالله، الأمالي الإثنيونية، ص ٢٤١.

ز- وفي ذلك الحديث الذي أسرّه إليها وحدها أخبرها أنه مُرْتَجِلٌ عن الدنيا عما قريب، فبكت، ثم لما بَشَّرَها بأنها أول أهل بيته لحوقابه، وقال لها: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو نساء هذه الأمة) ضحكت^(١).

ح- وكثيرا ما ذكَّرَها بنعمة السيادة، مثل قوله لها: (أما ترضين أن تكوني سيدة..)^(٢).

ط- ولقد كان حريصا في كل مرة أن تعيش فاطمة على طريقة أبيها، بعيدة عن بهرج الدنيا وزينتها، وعندما رأى على بيتها ستارة مزينة ومنقوشة عاد ولم يدخل، فسرعان ما بادرت هي عليها السلام بإزالتها، وأرسلتها إلى أبيها كي يبيعها، ويتصدق بقيمتها، بينما بقيت بناته الأخريات يعشْنَ فيما شئن من متاع الدنيا؛ لأنها كانت شيئا وكن شيئا آخر.

ي- وتردَّدَ عليها السلام بعد نزول آية التطهير شهورا على بيتها وبيت علي عليهما السلام كل غداة، يناديهم: (الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا)^(٣).

ك- وأمر بسد أبواب بيوت الصحابة المشرعة إلى المسجد، إلا باب علي

٢٤٢، ٢٤٣؛ وابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٤.

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنيية، ص ١٨١ - ١٨٢؛ والبخاري، الصحيح، ج ٥، ص ٢٣١٧،

رقم ٥٩٢٨؛ ومسلم، الصحيح، ج ٤، ص ١٩٠٤، رقم ٢٤٥٠.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنيية، ص ٢٤١ - ٢٤٢؛ والبخاري، الصحيح، ج ٥، ص ٢٣١٧،

رقم ٥٩٢٨؛ وابن عبد البر، الاستيعاب، وابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٤.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٥٤٣؛ وغيره.

تلك هي فاطمة الزهراء عليها السلام

وفاطمة عليها السلام ^(١)، إنه التفضيل والاصطفاء لعظيم الدور وشريف
وجليل الوظيفة التي يهيئها الله ورسوله لهذه الأسرة الطيبة.

ل- وزوجها عليه السلام وصيه وخليفته من بعده، مَنْ وصفه بقوله: (سيد في
الدنيا والآخرة) ^(٢).

م- كناها رسول الله عليه السلام (أم أبيها). وستأتي بعض النقاط حول هذه
الكنية ودلالاتها.

ن- أوصى الرسول بها وولديها اللذين هما امتدادُه حتى يوم الحشر،
وسماههم الوصية العظمى، وقال: (أوصيكم بالوصية العظمى، بفاطمة
والحسن والحسين خيرا) ^(٣).

٨- وتولى الله أمر زوجها، فكان زواجها بأمر الله، وقد قال عليه السلام: (إنما أنا
بشر مثلكم، أتزوج فيكم، وأزوّجكم، إلا فاطمة فإنها نزل تزويجها
من السماء) ^(٤).

(١) في سد الأبواب لإلّا باب علي حديث ابن عباس، وأنس بن مالك، وابن عمر، وسعد بن
أبي وقاص، وجابر بن سمرة، والامام الحسين، وجابر بن عبد الله، وأمير المؤمنين عليه
السلام، ينظر الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، ج ٢، ٤٥٧؛ وابن حنبل، المسند، ج ٣،
ص ٤٣٩، رقم ١٤٢٩؛ والطبراني، المعجم الأوسط، ج ٩، ص ١٣٠، رقم ٤٠٧٧؛
والطحاوي، مشكل الآثار، ج ٨، ص ١٠٦، رقم ٣٠٤٠؛ والترمذي، سنن الترمذي، ج ٥،
ص ٦٤١، رقم ٣٧٣٢.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٥.

(٣) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص ٢٥٣.

(٤) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص ٢٣٢؛ وأبو طالب، تيسير المطالب، ص ١٣٧؛ وروى

٩- وجعل ولديها سيدي شباب أهل الجنة، وإمامين قاما أو قعدا، ومن ذريتها أعلام الهدى الميامين.

١٠- وفطمها وفطم أولادها ومحبيها من النار، ممن كان منهم على التوحيد والإيمان، كما تقدم.

١١- وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا منها، وقد وصف القرآن ابنيها بأتمهم أبناء الرسول ﷺ؛ إذ قال في آية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾، وهناك الكثير من الأحاديث الدالة على أبوته ﷺ للحسن والحسين، وهي أبوة حقيقية، ويدل على ذلك قوله ﷺ: (وأنا عصبتهم!)^(١)، وفي ألفاظ الخبر (كل بني أنثى لأبيهم إلا ابني فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم)، و(إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم)^(٢).

إن الله سبحانه وتعالى كرم فاطمة بأن حفظ الله ذرية أبيها النبي الأكرم ﷺ في ذريتها، وجعل عقبه من عقبها، يقول ﷺ: (كل سبب ونسب منقطع يوم

الإمام الرضا في صحيفته، ص ١٧٢، رقم ١٠٨، بلفظ: (يا محمد إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: "قد زوجت فاطمة من علي فزوجها منه، وقد أمرت شجرة طوبى أن تحمل الدر والمرجان والياقوت وإن أهل السماء قد فرحوا بذلك، وسيولد لهما ولدان سيديا شباب أهل الجنة، وبهم يتزين أهل الجنة، فأبشر يا محمد فإنك خير الأولين والآخرين".

(١) رواه أبو يعلى الموصلي، وله شاهد من حديث جابر رواه الحاكم وصححه. ينظر

البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة، ج ٧، ص ٩٢، رقم ٦٧٧٣.

(٢) ينظر: المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٢٨-٢٩

القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم^(١). (الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري)^(٢).

١٢ - هي من الرسول وقطعة منه (بضعة)؛ ولذا كان حكمها حكمه، ومن مصاديق ذلك أنه لما ربط أبو لبابة نفسه في المسجد، وأقسم أن لا يحله أحد إلا رسول الله، وجاءت فاطمة بعد نزول توبته لتحلّه فأبى، فقال رسول الله ﷺ: (إنما فاطمة مضغة مني)، فحلته^(٣).

ولهذا كلّه فضّلها علماء الشيعة بمختلف مذاهبهم على جميع النساء حتى على مريم العذراء البتول عليها السلام، وكذلك فضّلها من علماء السنة كثيرٌ من المحققين، ومنهم التقى السبكي، والجلال السيوطي، والبدر الزركشي، والتقى القرظي، والبلقيني، والسهيلي؛ لأنها بضعة رسول الله ﷺ. وذهب الألويسي في تفسيره إلى أنها أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات على الإطلاق^(٤).

(١) أبو نعيم، معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٣١، رقم ١٩٩.

(٢) ابن حنبل، المسند، ج ٤، ص ٣٢٣، رقم ١٨٩٢٧؛ والطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٠، ص ٢٥، رقم ٣٠؛ والحاكم، المستدرک، ج ٣، ص ١٧٢، رقم ٤٧٤٧.

(٣) السهيلي، الروض الأنف، ج ٣، ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

(٤) دكتور محمد بيومي، السيدة فاطمة الزهراء، ص ١٨.

علمها

نشأت الزهراء في بيت أُسِّسَ على العلم، وتنزَّلت فيه آيات القرآن الكريم، وأولاهن الأميرة بالقراءة، ومن أمِّ كانت تاجرَة، وللتجارة مقتضياتها في وجوب تعلم بعض المعارف، ومن الطبيعي أن تنشأ فاطمة مفطورةً على حب المعرفة والعلم، فهناك الكثير من العوامل التي تدفعها في هذا الاتجاه؛ إنها سيدة نساء العالمين، ونساء هذه الأمة، ونساء أهل الجنة، ولا سيادة إلا بالسيادة في العلم أولاً.

وماروي من مشاركتها العلمية ورواياتها وآرائها وفقهها وخطبها واحتجاجاتها يشير إلى علمها الواسع، وحصيلتها الفاتحة، رغم معاجلة الموت لها، وبعد وفاة أبيها، إذ لم يُتَح لها إبداء ما لديها من رواية ومعرفة وعلم كما أُتيح لنساء أخريات. غير أن مشاركتها وآراءها في أهم القضايا العلمية والسياسية والاجتماعية في تلك المدة القصيرة بعيد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بيّن أيّ امرأةٍ عالميةٍ كانت الزهراء، وأيّ زوجةٍ كان الله قد اختارها واصطفها لباب مدينة العلم.

في مواقفٍ مختلفة كان يذكّرُها الرسول صلى الله عليه وآله والدّها بما أنعم الله عليها، فيذكّرُها بأن زوجها "أكثر الصحابة علماً"، أو "أعلمهم بالله تعالى"، بالإضافة إلى كونه أولهم سلماً، وأكثرهم حلماً^(١)، وهو بلا شك يريد صلى الله عليه وآله

(١) أبو طالب، تيسير الطالب، ص ١٤٠، بلفظ: "أقدمهم إسلاماً، وأحسنهم خلقاً، وأعلمهم بالله تعالى"؛ وابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٠٩٩، وفيه: "أول أصحابي

أن يعرّض لها شخصية زوجها العظيم من خلال أهم المقاييس الإسلامية التي يقيّم الإسلام الشخصيات من خلالها، ومن خلال أهم المقاييس التي لدى فاطمة عليها السلام وهي المشغوفة بمقاييس الإسلام، فكان أهم تلك المقاييس هو "أكثرهم علما، أو أعلمهم بالله تعالى".

وقد مرّ عن أمّ سلمة قولها عن فاطمة عليها السلام: "وكانت والله آدب مني، وأعرف بالأشياء كلها"، كما مرّ قول عائشة، أنها ما رأت ومثلها يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كلامها، وحديثها، وفي سميتها، وهداياها^(١)، ولا شك أن المشابهة للرسول في الحديث والسمت والهدي لا بد أن يكون له علاقة بالجانب المعرفي كأفضل امرأة تشبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الناحية العلمية.

عاجلت المنية الزهراء قبل أن تزهر ثمار علمها وتونق أشجار معارفها، فغادرت الحياة وعمرها ٢٣ سنة تقريبا، قضتها في ظلال أبيها، الذي كان مرجع العالمين، ومن تخفى بجانب إشراقه هديه نجوم الهداية؛ إلا أن الأشهر القليلة التي قضتها بعد وفاة أبيها أظهرت ما كان لديها من معارف وعلوم بشكل أثبت فرادتها وجدارتها وسيادتها على العالمين.

في خطبتها التي أنكرت فيها على أبي بكر استيلاءه على أملاكها في

إسلاما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما"، و"زوجك سيد في الدنيا والآخرة".
(١) الحاكم، المستدرک، ج٤، ص٣٠٣، رقم ٧٧١٥، وقال الذهبي: صحيح؛ والترمذي، السنن، ج١٤، ص٢٧، رقم ٤٢٤٦. باب فضل فاطمة؛ وأبو داود، السنن، ج٤، ص٥٢٣، رقم ٥٢١٩، باب ما جاء في القيام.

فذك، وأنكرت على المسلمين تخاذلهم عن نصره ابن عمها وزوجها في تضييع مبدأ ولاية الإمام علي عليه السلام، أبانت عن علمٍ عظيم، ومعارفٍ واسعةٍ وعميقة، في سردٍ مرتجلٍ وحبكٍ متقن، لا يمكن استيعابه إلا أنه من فاطمة ابنة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

في تلك الخطبة أظهرت - من دقائق معرفة الله، ومن معاني القرآن الكريم، وحسن التعامل معه، ومن تفسيرات التشريعات الإسلامية، ومن طبيعة رسالة والدها الكريم، ودوره الرسالي في ظل الظروف الاجتماعية والفكرية، وأوضاع العرب الثقافية والاجتماعية والتطورات الدقيقة في هذا الجانب - ما يُذهل القارئ لها.

لقد استدلت بكتاب الله على صحة موقفها استدلالاً فقهياً متقناً، ومُفجاً، ورَتَّبَتْ أفكارَ خطبتها وسلسلتها بطريقة متدرّجة، أقامت من خلال ذلك لواء الحجّة، وأقنعت المستمع، وأفحمت الخصم، في صورة مؤثرة، وقَدَّمت فيها تقريراً تاريخياً ضافياً عما كان عليه الصحابة ثم ما أصبحوا فيه، فجمعت فيه الفكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ والتحليليّ، وأوردت من معاني القرآن مع تفصيلات السنة، وحشدت المعارف الفقهية مع اللغوية، بقوة ملاحظة، ودقيق توصيف، وحنكة جدل، تُفضي إلى قوة استنهاضٍ وشديد توبيخ، لتأخذ بأكظامهم، وقد أوردتهم على مشهد الآخرة المهول.

وفي تلك الخطبة التي أذاعتها في نساء المهاجرين والأنصار يَظْهَرُ علمُها القوي في قوة احتجاجها على خذلانهم لأحقية أبي الحسن في أمر الأمة، وعرضت النتيجة التي كانوا سيحصلون عليها لو بادروا لذلك، ودليل ذلك من القرآن والسنة ثم تقييمها لنتائج قرارهم الخاطيء.

إن قوة أسلوبها الخطابي يشبه إلى حد كبير أسلوب زوجها الإمام في نهج البلاغة، ولكن زوجها كان قد اعتاد اعتلاء المنابر، وأنس مسالك الخطب، ومَرَّن على ترتيب أفكارها، بخلافها فلم يُعْهَد منها ذلك؛ اللهم إلا أن يشير إلى أنها كانت قد تَمَرَّست على إيراد الدروس والخطب على نساء المؤمنين إلى الحد الذي جعلها متمكِّنة بذلك الشكل الرائع.

ومن خلال ذلك نعرف "أن الزهراء عليها السلام كانت تحمل علما جما، ولو امتدت بها الحياة لرأى المسلمون منها الكثير والكثير مما تفيض به من علومها التي أخذتها من رسول الله ﷺ؛ لأنها كانت منه في حياته مع رسول الله تغرف من بحر علمه، وتتحرك في خط أخلاقه، وتعيش آفاق روحانيته؛ ولهذا كانت بضعة منه، (فاطمة بضعة مني)، فعقلها بضعة من عقله، وقلبها بضعة من قلبه، وطاقتها بضعة من طاقاته، وروحانيتها بضعة من روحانيته"^(١).

إن معرفة الزهراء لله تعالى من خلال آياته، واستيعابها القرآن بشكل

(١) أحمد الصفي، فاطمة الزهراء دروس وعبر، ص ١٠٦. (تحت الطبع).

عميق، ووعيتها بسنة وسيرة أبيها عليه السلام، وقدرتها الفائقة على التعامل مع مصادر التشريع هذه لمعالجة الواقع الذي عاشته بأقوى طريقة وأفصح عبارة لهو دليل كبير على سيادتها العلمية على نساء العالمين.

ولهذا ولكون الزهراء سيدة المعارف والعلوم لا غرو أن وجدنا ذريتها الطاهرين من أئمة أهل البيت الميامين يستدلون بأفعالها في المسائل الفقهية، فهذا الإمام الباقر يقول مستدلاً: (وقد كانت أمنا فاطمة ترى ما ترى النساء فتتضي الصوم، ولا تقضي الصلاة)^(١)، ورغم أن الروايات تُسند إلى رسول الله نفسه مرة وإلى زوجها الإمام مرة أخرى أن كلا منهما عتق عن الحسن والحسين في اليوم السابع من مولدهما وتصدق بوزن شعر رؤوسهما فضة، غير أن السجاد زين العابدين عليه السلام وغيره أيضاً في رواية يُسندون فعل ذلك إلى الزهراء مستدلين بفعلها على سنية العقيدة^(٢).

لا مرية أن كانت فقيهة عالمة، وقد سمعت من رسول الله قبل زوجها في مسألة الحج، لغيابه في اليمن، فلما قدم ببُدن النبي عليه السلام، ووجدها قد أحلت، ولبست ثياباً صبيغاً، واكتحلت، ونالت من الطيب، فأنكر زوجها ذلك عليها، إذ ذلك يخالف ما عليه المحرم للحج، فقالت له: (أمرنا رسول الله فأحللنا من حجنا، وجعلناها عمرة)، فذهب إلى رسول الله مستفتياً، فيما ذكرت، فصدق رسول الله ما قالت، وقال: (صدقت

(١) أحمد بن عيسى، رَأب الصدع، ج ١، ص ٦٤٦.

(٢) العجري، المختار، ص ٥٥٧، نقلاً عن صحيفة الإمام الرضا، ص ٤٦٩.

صَدَقَتْ^(١).

ومن أمارات فقهها الشرعي، أنها لما أنكرت علي أبي بكر استيلاء عامله علي فدك، قالت: (فدك بيدي)^(٢)، أي أنها ذكرت قضية هامة في التقاضي، وهو ثبوت يدها علي الموضع المتنازع عليه، وبالتالي فلا يلزمها بحكم الشرع أن تورّد الشهود علي ثبوت ملكيتها، ولهذا كان من الخطأ مطالبتها بالبينة علي ما هو ثابت في يدها.

إن طريقة محاجّتها لأبي بكر وعمر حول فدك، وحول ميراثها من رسول الله ﷺ^(٣)، تدل علي رسوخ قدمها في الفقه، وطول باعها في الحجج والأدلة.

أما علمها بالأساليب التربوية فيكفي أنها ربّت سيدي شباب أهل الجنة، الحسن والحسين، لقد أنشأت بطريقتها التربوية أعلى مدرسة مثالية، تخرج منها الحسنان وزينب؛ ألم تكن تزفن الحسن أو تنقّز له أو ترقّصه^(٤) (ع)، وتقول ملهمة له لاقتفاء جميل النموذج، وعظيم المثال، وهو جدّه المصطفى ﷺ، كانت تقول له:

(١) وكان علي عليه السلام قد أهل بها أهل به رسول الله، وحج رسول الله قارنا، بينما ظاهر الرواية تقول: إنها حجت متمتعة، ينظر: أمالي أحمد بن عيسى، ج ١، ص ٣٧٠؛ ودرر الأحاديث النبوية، ص ٨٤.

(٢) العجري، المختار، ص ٢٥٢، نقلًا عن الجامع الكافي؛ وأبو العباس الحسيني، المصباح، ص ٢٦٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥١٩.

(٤) كلمات متقاربة في المعنى.

وابأبي شُبه النبي ليس شبيهاً بعلي^(١)
وهذا يدل على مهارتها التربوية.

وكانت تصطحب أولادها إلى محراب عبادتها، وتعلمهم أنواع التهجيد؛ إذ يروي الإمام الحسن عليه السلام أن والدته أجلسته إلى جانب سجادتها، وهي تتضرع إلى الله تعالى، وتدعوه، وذكرت الروايات أنها كانت تعلم أولادها خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهما لم يبلغا الخامسة، وكانت تطلب منها إعادة ما سمعاه من خطاب رسول الله على مسامعها، ثم يعيدانه بحضور أبيهما. وأخذت زينب معها إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما ألفت خطبتها العصماء في مواجهة الصحابة^(٢).

ولهذا لا عجب أن وقفت زينب في مواجهة طغيان يزيد في عاصمة الخوف والجريمة في ذلك العصر، لتقول بكل شجاعة وثبات: (الحمد لله ما رأينا إلا جميلاً)، وقد شهدت قتل أخيها سيد شباب أهل الجنة، واثنين من أبنائها البررة، وثمانية عشر قمراً من أقمار بني هاشم علت أرواحهم شهداء إلى بارئهم، ورأت ذلك بأم عينها صابرة صامدة كالجبل الأشم والطود الأعظم ثباتاً و يقينا.

وتدل خطبة الزهراء العصماء واستهلالها بتعظيم الله، وتقديسه، كمثل

(١) ابن حنبل، المسند، ج ٦، ص ٢٨٣، ط ١؛ وابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ١٢، ص ٧.

(٢) المدرسي، فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة الصديقين، ص ٢٦.

تلك الخطبة التي بدّأتها في مواجهة أبي بكر: (الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما أهدم)، ثم قالت: (المتنع عن الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام الإحاطة به)^(١) - على مقدرتها البلاغية، ومهاراتها الأدبية الرائعة.

ويحكي التاريخ عن الزهراء في حالات جوهرية ظفّر بها من حياتها القصيرة أنها كانت على علمٍ ببعض المهارات الهامة، مثل أنها كانت تغزل، وكانت تغزل لنفسها وللآخرين بالأجرة^(٢)، وهو أمرٌ يشير إلى أهمية كيف تكون المرأة عملاً ومهارة ونشاطاً.

لقد بلغ من حنكتها وحصافتها السياسية والاجتماعية أن صارت مستشارة الإمام علي عليه السلام فكان هو والزيبر حين بوبع أبو بكر يدخلان عليها فيشاورانها، ويتراجعان في أمرهم، واتخذوا من دارها مقراً لمعارضة السلطة الجديدة^(٣)؛ الأمر الذي استثار السلطة الجديدة فقرّرت الهجوم على هذا البيت.

ويسجّل التاريخ على نحوٍ فريد أن هذه البنت في عمر السادسة عشرة تقريباً أنه لما جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أحد، وظلّ جرحه ينزف، لكنها

(١) العجري، إعلام الأعلام، ص ٦.

(٢) المنصور بالله عبدالله بن حمزة، مجموع رسائل المنصور بالله عبدالله بن حمزة (القسم الثاني)، ج ٢، ص ٥٧٨، وصية البنات.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ٩٧٥.

بفضل خبرتها الجراحية استطاعت إيقاف ذلك النزيف^(١)، وهذا يشير إلى تفوقها على مَنْ بحضرتها في هذه القضية.

وهي التي ألهمت أسماء بنت عميس في استحداث النعش للجناز، الذي لا زال يعمل به المسلمون حتى اليوم، فقد كرهت ما كان عليه وضع حَمَلِ الجناز؛ لهذا ألقت في فكرة أسماء لتستذكر ما رآته في الحبشة، فكان استحداث النعش لأول مرة في الإسلام^(٢)، وهذا يدل على فكرها الإبداعي.

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ٣٢٤.

(٢) أبو العباس الحسيني، المصابيح، ص ٢٦٧؛ والبلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٤٠٥؛

وابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٧ - ١٨٩٨.

مروياتها الحديثية

في موضوع الحديث النبوي هناك روايات حديثية روتها هي عن أبيها عليها السلام، ورواها عنها بعض الصحابة رغم قصر المدة التي قضتها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ورغم أنها قضتها في عناء وشقاء.

ومن روى عنها متملذا عليها زوجها وأستاذها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولدها الحسين عليه السلام، وزوجتا أبيها عائشة، وأم سلمة، وأسماء بنت عميس، وأنس بن مالك، وعبدالله بن العباس، وعبدالله بن مسعود، وأبو هريرة، وسلمة بن الأكوع، وغيرهم. وخرج أحاديثها جماعة المحدثين، وأئمتنا الخمسة^(١)، وزيد بن علي عليه السلام (ت ١٢٢ هـ)، والهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام (ت ٢٩٨ هـ)^(٢).

ومما روته هو ما رواه عنها ولدها شهيد كربلاء، قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله عشية عرفة، فقال: (إن الله باهى بكم، وغفر لكم عامة، ولعلي

(١) إذا أطلق هذا اللفظ في كتب تراجم الزيدية فيراد به الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (ت ٤١١ هـ)، وأخوه الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني (ت ٤٢٤ هـ)، والإمام موفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني (ت ٤٢٠ هـ)، وولده الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري (ت ٤٧٩ هـ)، وحواري آل الرسول محمد بن منصور المرادي (ت ٢٩٠ هـ تقريباً).

(٢) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٣٢؛ وأبو نعيم، معرفة الصحابة، ج ٢٢، ١٩٦، رقم ٦٦٩٤.

خاصة، وإني رسول الله إليكم غير محابٍ لقرابتي، فقال: إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد مماته^(١)، وهو أمرٌ يشير إلى أنها استحضرت أهمية أن يُحِبَّ الناس الإمام علي عليه السلام ليتخذوا المواقف الإيجابية في قضية الولاية، كما يشير إلى عظيم وفائها له.

وروى يزيد بن أخت عبد الملك النوفلي، عن أبيه عن جده، قال: دخلت علي فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال: فبدأتني بالسلام، قال: فقالت: قال أبي: وهو ذا هو - أن من سلم عليّ وعليك ثلاثة أيام فله الجنة، قال: فقلت لها: هذا في حياتك وحياته؟ أم بعد موته وموتك؟ قالت: في حياتنا وبعد موتنا^(٢).

ومما روته في خطبتها في مواجهة الصحابة قول رسول الله ﷺ: (يُحْفَظُ المرءُ في ولده).

وعن علي عليه السلام قال: علم رسول الله ﷺ فاطمة أن تقول: (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأستنصره، وأستعصمه، وأتوب إليه، وهو التواب الرحيم)، وقال لها: (يا بنية، من قالها مرتين غفر الله له ولو لوالديه، ومن قالها ثلاثاً غفر الله له ولو لوالديه ولقرابته، ومن قالها أربعاً

(١) المرشد بالله، الأمالي الحميسية، ج ٢، ص ١٣٠، ترقيم آلي؛ وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ١٦٩؛ والطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٤١٥، رقم ١٨٨٧٨؛ وابن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦٥٨، رقم ١١٢١.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنيينية، ص ٢٢٥.

غفر له ولوالديه ولقرباته ولأمة محمد ﷺ^(١).

وروى عبدالله بن الحسن عن جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ،
قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد، قال: (بسم الله والسلام على
رسول الله ﷺ، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك)^(٢). وفي
رواية قالت: (وإذا خرج قال: بسم الله، والسلام على رسول الله ﷺ اللهم
اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك)^(٣).

وأخرج ابن ماجه بسنده عن الحسين بن علي عن أمه فاطمة، قالت:
قال رسول الله: (ألا يلومن امرؤُ إلا نفسه، بيت وفي يده ريحُ غَمَرٍ)^(٤).

وأخرج ابن حنبل بسنده عن الحسن بن الحسن عن فاطمة عليها السلام، قالت:
(دخل عليّ رسول الله ﷺ فأكل عَرَقاً^(٥)، فجاء بلالٌ بالأذان، فقام ليصلي،
فأخذت بثوبه، فقلت: يا أبة، ألا تتوضأ؟ فقال: ممّ أتوضأ يا بنية؟ فقلت: مما

(١) المرشد الله. الأمالي الخميسية، ج ١، ص ٤٢٤، (ترقيم آلي). ومثل هذه الأحاديث محمولة
على استقامة صاحبها بطريقة الإسلام وهديه.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص ٢٣٨، ٢٣٩.

(٣) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص ٢٣٩؛ ورواه ابن حنبل، المسند، ج ٦، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٤) ريح اللحم وما يعلق باليد من دسمه.

(٥) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج ١٠، ص ١٦٢، رقم ٣٤٢١؛ والنوري، المسند الجامع
ج ٢٠، ص ١٦١.

(٦) العَرَق: مصدر قولك عَرَقْتُ العظم، إذا أكلت ما عليه من اللحم، وهو أيضاً: العظمُ
الذي أخذَ عنه اللحم. (الصحاح في اللغة).

مسّت النار؟ فقال لي: أو ليس أطيب طعامكم ما مسّته النار؟^(١)

وأخرج ابن حنبل بسنده عن الباقر محمد بن علي، قال: كتب إليّ عمر بن عبدالعزيز أن أنسخ إليه وصية فاطمة، وكان في وصيتها الستر الذي يزعم الناس أنها أحدثته، وأن رسول الله ﷺ دخل عليها فلما رآه رجع"^(٢).

ومما روته عائشة عنها حديث معارضة جبريل لرسول الله بالقرآن، قالت عائشة: حدّثني فاطمة، قالت: أسرّ إليّ رسول الله فقال: (إن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا وقد حضر أجلي، وأنك أول أهل بيتي لحاقي، ونعم السلف أنا لك)، قالت: فبكيت^(٣)، ثم قال: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة، أو نساء العالمين، فضكت)^(٤).

ولعل الرواية الأوفق والأقرب من روحية فاطمة عليها السلام هي هذه، قالت عائشة: كن أزواج النبي صلى الله عليه وآله سلم عنده لم يغادر منهن امرأة، فأقبلت فاطمة رحمها الله تمشي ما تخطى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئا فلما رآها رحب بها ثم قال: «مرحبا بابنتي»، ثم

(١) ابن حنبل، المسند، ج٦، ص٢٨٣؛ والنوري، المسند الجامع، ج٢، ١٦١، رقم ١١٢٨ (فاطمة بنت محمد).

(٢) ابن حنبل، المسند، ج٦، ص٢٨٣؛ والنوري، المسند الجامع، ج٢٠، ص١٦١.

(٣) يجمل بكأوها هنا أنه لموت والدها، كما ورد في روايات أخرى للحديث، وليس للحوق به.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٤.

أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّها فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى جَزَعَهَا سارَّها الثانية فضحكت، فقلنا: خصك رسول الله ﷺ من نسائه بالسرار، ثم أنت تبكي فضحكت، فلما قامت سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره. فلما توفي قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني بما قال لك. فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارني في المرة الأولى فأخبرني «أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن في كل سنة مرة، وأنه عارضه العام مرتين، وأني لا أدري الأجل قد اقترب فاتقي الله واصبري فيني نعم السلف أنا لك»، فبكيت بكاء الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: «يا فاطمة، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة هذه الأمة؟» فضحكتُ ضحكي الذي رأيت^(١).

ويبدو مُلْفِتاً أن تكون أكثر الروايات المتعلقة بها سلام الله عليها حول الدعاء والمناجاة لله سبحانه وتعالى، فهذا سويد بن غفلة أيضاً، قال: "أصابت علياً خصاصة، فقال لفاطمة عليها السلام: لو أتيت النبي ﷺ فسألتيه، فأنته، قال: وكان عنده أم أيمن، فأنته فدقت الباب، فقال النبي ﷺ لأم أيمن: إن هذا لدق فاطمة، ولقد أتتنا في ساعة ما عودتُنا أن تأتينا في مثلها، قومي فافتحي لها الباب، ففتحتُ الباب، فقال: (يا فاطمة، لقد أتيتنا في ساعة ما عودتُنا أن تأتينا في مثلها؟) فقالت: يا رسول الله، هذه

(١) ابن أبي عاصم، الأحاد والمثاني، ج ٨، ص ٣٢١، رقم ٢٦٣٢؛ وأبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج ١٣، ص ٤٨٧؛ رقم ٦٦٠١.

الملائكة طعامها التهليل والتسبيح والحمد فما طعامنا؟ فقال النبي ﷺ:
 (والذي بعثني بالحق نبيا، ما اقتبس في آل محمدٍ ناراٌ منذ ثلاثين يوما، ولقد
 أتتنا أعنز، فإن شئت أمرنا لك بخمسة أعنز، وإن شئت علمتُك كلماتٍ،
 علمنيهن جبريل عليه السلام، أنفا)، فقالت: علمني كلماتٍ علمكهن
 جبريل عليه السلام، قال: (قولي: يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة
 المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين)، قال: فانصرفت حتى
 دخلت علي علي عليه السلام، فقال: ما وراءك؟ قالت: ذهبت من عندك إلى
 الدنيا، وأتيتك بالآخرة، فقال: خير أيامك، خير أيامك^(١).

وأما حديث التسبيح: فقد روي بصيغ وألفاظ متعددة، ونورد هنا
 مثالا يدل على ما سواه، روى طاووس عن ابن عباسٍ قال: أُنِّي رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ مِنَ الرَّقِيقِ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام لِفَاطِمَةَ - عليها السلام -:
 أَنْطَلِقِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرِيهِ مَا بِيَدِكَ مِنْ أَثَرِ الرَّحَى مِنْ طَحْنِ
 الشَّعِيرِ، وَأَخْبِرِيهِ بِأَنَّ الَّذِي بِيَدِي نَحْوًا مِنَ الَّذِي بِيَدِكَ مِنْ مُعَاوَنْتِي إِيَّاكَ
 عَلَى الرَّحَى، وَأَذْكَرِي لَهُ شِدَّةَ حَالِنَا، وَمَا عَلَيْنَا مِنَ الدَّيْنِ، وَسَلِّيهِ مَا هُنَا
 مِنْ هَوْلَاءِ الرَّقِيقِ نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مِهْنَتِنَا.

فَانْطَلَقَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ وَأَرَتْهُ الَّذِي بِيَدِهَا، فَأَخْبَرَتْهُ
 أَنَّ الَّذِي بِيَدِي نَحْوٌ مِنَ الَّذِي بِيَدِهَا، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَجَّهْ هَوْلَاءِ

(١) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ٣٢٨-٣٢٩؛ والمرشد بالله، الأمالي الخميسية، ج ١،
 ص ٤٣١-٤٣٢.

الرَّقِيقُ بوجه كذا وكذا ولا سبيل إليه، ولكن سأعلمك ما هو خير لكم من ذلك حتى يأتي الله بالحير)، قالت: نعم، فقال: (إذا أويت إلى فراشك من الليل فسبحي الله ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبري أربعاً وثلاثين، ثم قل: اللهم رب السموات ورب العرش العظيم، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إنك على صراط مستقيم، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت القاهر فليس فوقك أحد، وأنت الباطن فليس دونك أحد، اقض عني الدين، وأعدني من الفقير)، قال: ففعلت ذلك ثم أتى رسول الله ﷺ رقيق، فاختر منهم إنساناً على عينه فعلمه الإسلام، وجاء به إليهم^(١).

لهذا كله يجب على فاطمة اليوم أن تكون كفاطمة الزهراء علماً ومعرفة ومهارات معرفية وتربوية واجتماعية وسلوكية لتؤدي دورها في هذه الحياة على النحو الذي يرضي الله تعالى، لا سيما في تربية الأجيال المؤمنة والمجاهدة، يقول علي شريعتي ناقداً للتقصير في هذا الجانب: "كست أدري كيف يمكن لشخص ناقص محروم من نعمة العلم، والكتاب، والدراسة، والتربية، والفكر، والثقافة، والحضارة، والتربية الاجتماعية، كيف يمكن أن يكون مربياً لجيل الغد"^(٢).

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص ١١٧ - ١١٨.

المجاهدة .. بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم

شاء الله أن تشرق شمس فاطمة بإشراقه الإسلام، وأن تكون آخرة أخواتها، وسيدة نساء الدنيا والأخرى، لتكون النموذج للمرأة المؤمنة في هذا العصر الأخير أيضا.

إن كونها صغرى بناته عليها السلام، ولم تولد إلا مع ولادة الإسلام نفسه، وكونها كانت جزءا من أبيها وقطعة منه، ثم أم أبيها المجاهد، ثم زوجة سيد المجاهدين، وأم الشهيدين سيدي شباب أهل الجنة، الحسن والحسين، فإن ذلك يعني أنها النموذج المثالي للمرأة المؤمنة، بل والمرأة العالمية.

وفي ما سبق اتضح أنها كانت على علاقة مميزة بالدها النبي الرسول المجاهد، وأنها اضطلعت بمهمة الجهاد، وهي لا تزال صغيرة، أو ليست هي الناشئة على تقلبات الحوادث وصرم الأيام، التي أنتجت حركة والدها الجهادية؟!!

كانت سلام الله عليها على علاقة خاصة بالدها عليها السلام، وهي بضعة منه في كل شيء، حتى في جهاده عليها السلام، ودلت حوادث عديدة ومنها حادثة أبي لبابة بأنها بالفعل كانت تمثل الرسول عليها السلام، وليس صدفة أن يكون والدها النبي المجاهد حريصا على أن يكون آخر عهدها حين يتحرك للسفر وإلى الجهاد، وإذا قدم كانت هي أول الناس به عهدا، ولكأنه كان حريصا

على أن تعيش معه بيئة الجهاد وتشاركه فيه ذهاباً وإياباً.

ساهمت فاطمة عليها السلام في جهاد والدها في مكة، وسجّل لها التاريخ رغم صغر سنّها مواقفَ رائعة تُسعدُ فتياتنا اليوم اللاتي هن بنات المجاهدين، والشهداء، وأخواتهم، وزوجاتهم، وأمهاتهم، وتملاً جوانحهن بصيرة وأملاً ومعنوية عالية.

فاطمة بنت الرسول المجاهد هي تلك التي وطّد أبوها معها علاقة الإسلام مع بناته العظيمات، ألم يعتبر رسول الله عليه السلام عليها وعليه في حياتهما وبعد مماتهما ذا خيرٍ كبير، ولطفٍ عظيم، يتسبّب في اكتساب الأعمال الصالحة، ومن ثم دخول الجنة^(١)، وألم يجعل غضبها غضباً لله، وإرضاءها إرضاءً لله تعالى^(٢).

هي تلك التي خيّرَها أبوها وهي أشد ما تكون محتاجة بين خمس أعنز ورددت للتو، أو كلمات علّمه إياهن جبريلُ قبيل مجيئها إليه، فاخترت كلمات جبريل على أعنز الدنيا، وهكذا المرأة المجاهدة تتّجه لتغذية الروح أكثر من تغذية الجسد، وما أروع تلك الكلمات التي حملها جبريل وتعلّمها فاطمة الزهراء، إنها (يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين)، والأروع أنها لما

(١) كما تقدم.

(٢) كما تقدم.

عادت إلى علي عليه السلام وسألها عما وراءها؟ قالت: خرجتُ من عندك إلى الدنيا، وأتيتُك بالآخرة، فيردُّ علي عليه السلام عليها قائلاً: (خير أيامك، خير أيامك). أوليس الدعاء لله ومناجاته تعالى هو خير زاد للمجاهدين.

وحين طلبوا منه عليه السلام خادماً يعينهم على شؤون البيت، وقد مجّلت يدهما أراد لهما الرسول عليه السلام أن يعيشوا حياة الكفاح، وروحية النضال، ودلّهما على ما هو خيرٌ لهما من خادم، دلّهما على التسبيح والتحميد والتكبير.

فاطمة بنت النبي المجاهد هي التي نذت بها حالة في إحدى المرات إلى متاع الدنيا البسيط والمباح، فوضعت في يومٍ من الأيام على عنقها قلادةً من ذهب، كان قد اشتراها لها علي عليه السلام من نصيبه من الفيء، ولما زارها النبي عليه السلام وراها، قال لها: (لا يغرّنك الناس أن يقولوا: بنت محمد، وعليك لبس الجبابة)، فماذا فعلت فاطمة المجاهدة؟.

لقد استيقظت بسرعة وتذكرت أنها بنتُ النبي محمد، وأنها أمُّ أبيها، وليست بنت الذهب والفضة، ولا بنت الموضات، فعادت بسرعة لتكون بنت محمد عليه السلام، فقطعتها، وباعتها، واشترت بها رقبة، فأعتقتها، فسرَّ بذلك رسول الله عليه السلام ^(١).

سر عليه السلام؛ لأنه تأكّد أن فاطمة عادت لتكون بالفعل بنت محمد عليه السلام النبي المجاهد، وتركت ما يحل لها ويباح، طلباً لعظيم ما عند الله، وحفاظاً

(١) الرضا، صحيفة الإمام الرضا، ص ٢٥٦.

على روحيتها المحمدية الجهادية الشائرة الزاهدة، عادت لتكون بالفعل كمحمد، وبنت محمد ﷺ، وهكذا أهل بيته الأبطال المجاهدون، كأفضل وأبهى بشر يعرجون إلى مدارج العلياء، ويتسمنون مواطن الروح الفاضلة، وكلما اجتذبهم الدنيا إليها عادوا إلى الأخرى من بوابة إسعاد عباد الله، وأعظم ذلك عتق الرقاب.

ظلت فاطمة في المدينة بنت محمد النبي المجاهد، كما كانت في مكة، وبعد أن تزوجت بعلي المجاهد ظلت كما كانت قبل الزواج، وشاركت في جميع المجالات الجهادية المتاحة للمرأة في تلك الظروف، فقد هُرعت مع أخريات من المدينة إلى أحد بعد المعركة لمعالجة الجرحى، فعالجت أباهما النبي المجاهد، واستطاعت أن توقف نزيف دم وجهه^(١).

لقد جاءت هي وأربع عشرة امرأة إلى أحد يحملن الطعام والشراب على ظهورهن، ويسقين الجرحى، ويداوينهم^(٢)، وإذا عرفنا أنهم جئنا بعد معرفتهم بهزيمة جيش المسلمين وإشاعات مقتل النبي ﷺ واحتمال هجوم جيش المشركين على المدينة فإنه يتبين لنا مقدار شجاعتهم وثقتهم بالله تعالى، وهن يتقدمن إلى أرض المعركة على بعد بضعة كيلوهات شمال المدينة، ولا يخفن من غائلة انحراف جيش المشركين نحو المدينة أو نحو طريقهن.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٢٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٢٧؛ والحاكم، المستدرک، ج ٣، ص ٢٤؛ وسبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ١٦٤، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٣٥؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٦، ص ١٢٢.

وعند فتح مكة خرجت مع أبيها وزوجها، وتحكي السير أنه قد صُرب للنبي ﷺ خبء بالبطحاء، وجلس فيه يغتسل، وكانت فاطمة معه تستره، وأمرها فسكبت له غسلا فاغتسل.

وكانت تهتم بأمر المجاهدين، وتتألم كثيرا لفقد بعضهم، كما تألمت عند ورود استشهاد ابن عم أبيها وأخي زوجها جعفر بن أبي طالب، مشاركة لأهله في عزائهم، وتخفيفا لمصابهم. وأمرها رسول الله ﷺ أن تتخذ لأسماء بنت عميس طعاماً ثلاثة أيام، وأمرها أن تقيم عندها ثلاثة أيام هي ونساءؤها لتسليها عن المصيبة ^(١).

ولأنها بنت النبي محمد ﷺ وهو الذي ما فتئ يربي أمته على مكارم الأخلاق، وعلى المبادرة إلى الجهاد، فلا شك أنها بذلت ما أمكنها، وآية ذلك أنها ربّت أعظم فتيتين سيدين مجاهدين شهيدين، سوّدهما الله على شباب أهل الجنة، ومنها انطلقت أعظم سيدة هاشمية من فتيات الجهاد، وهي زينب الكبرى.

كان الجهاد يحتل مكانة مقدّسة في وعي فاطمة، كما هو شأنه في الإسلام، أليست هي القائلة في خطبتها في وجه أبي بكر، وهي تعدّد حُكم تشريعات الإسلام، فقالت: (والجهاد ^(٢) عز الإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأمر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة)، ويدل على وعيها

(١) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص ٨١.

(٢) معطوف على المنصوب قبله.

الجهادي أنها قرنت الجهاد الذي منه القتال في سبيل الله، بالصبر، وبالأمْر بالمعروف، وتعليل ذلك بـ(عز الإسلام).

ظَلَّت الزهراء وفيه لأبيها ولحركته الجهادية، وظَلَّت بنتَ محمدٍ كما أراد ﷺ، بل ولكأن العناية الإلهية أرادت لها أن تكون قريبة إليه في الدنيا والآخرة، وهو ذلك الذي كان يشناق إليها دائماً، ويجعلها آخِرَ مَنْ يودَّع إذا سافر، وأوَّلَ مَنْ يستقبل إذا قَدِمَ، فكانت بالفعل هي آخِرَ مَنْ ودَّعهم في حياته، وكانت هي أيضاً أوَّلَ مَنْ استقبل منهم في الآخرة؛ إذ كانت أوَّلَ أهل بيته لحوقاً.

ولما اشتدَّ به المرض قبيل وفاته قالت: واكرباه لكربك يا أبتاه، فقال: لا كرب على أبيك بعد اليوم^(١)، ولما أسرَّ إليها أنه سيغادر الحياة بكت، لكنه لما أعلمها أنها أوَّلَ اللاحقين به وأنها سيدة نساء المؤمنين ضحكت^(٢).

ظلت فاطمة كما أرادها والدها بنت محمد، ﷺ؛ ولهذا لما منعتها سلطة الخلافة ما نحلها أبوها في فدك، وميراثها في المدينة وخيبر، اعتبرت ذلك تفريقاً بين فاطمة وأبيها محمد، فقالت: (أترث أباك يا ابن أبي قحافة ولا أترث أبي؟!).

أليست هي فاطمة بنت محمد!! فكيف يريدون محمداً بلا فاطمة، وكذلك كيف يريدونها فاطمة بدون محمد ﷺ؟!

(١) أبو العباس الحسني، المصباح، ص ٢٤٦.

(٢) المصدر السابق.

موقفها من الشهداء

كانت سلام الله عليها تهتم بأمر المجاهدين، وبالشهداء منهم، فلما استشهد عمُّ أبيها حمزة بكت، فانهلت دموع أبيها لبكائها^(١)، ومعنى ذلك أنها كانت تشعر بحالة الجهاد، وتعاني من فقد رجالات الإسلام العظماء؛ لكنها لم تكتف بالانفعالات الوجدانية على أسد الله عمَّ أبيها حمزة، بل تحرّكت في أنشطة عملية رائعة تخلّد ذكرى الشهداء، وتقدّس قضاياهم، وتجعلهم قدواتٍ نموذجيةً للأجيال المسلمة.

لقد كانت سلام الله عليها تأتي قبور الشهداء غداة كلِّ سبت، وكانت تأتي قبر حمزة وتزوره وتقوم عليه^(٢)، بل كانت أيضا: "ترمه وتصلحه"^(٣).

وفي ذلك ما فيه من إحياء قضية الجهاد، وتربية الأجيال على حبّه وحبّ الاستشهاد في سبيل الله، ويسلّط الضوء على أهمية الاهتمام بروضات الشهداء، إحياءً لقدسية الجهاد، وفضيلة الشهادة، وهكذا يصنع المربون للأجيال؛ إذ يدلونهم على الاهتمام بما يربي فيهم خصال الكمال، وفضائل الأعمال. وإصلاحها لقبور الشهداء ورُمّها لها بقدر ما

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ١٧.

(٢) العجري، المختار، ص ٢٠٥، نقلا عن الجامع الكافي.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٦٨.

يشير إلى اهتمامها بهم وبقضيتهم، يشير أيضا إلى مهاراتها المتنوعة في حياتها الاجتماعية.

وهكذا لا تعدُّ المجاهدة اليوم المواقف والأنشطة والأعمال التي يتطلبها إحياء قضية الشهداء وما استشهدوا عليه لكي تكون فاطمية الوجدان، زهرائية السلوك.

أم أبيها .. ولماذا؟

أضفي على هذه المرأة الاستثنائية كنية استثنائية وفريدة لم نعهد لها امرأة أخرى؛ إذ كناها الرسول ﷺ والدُّها (أم أبيها)، وروي ذلك عن الباقر ^(١)، قال النووي في كتاب تهذيب الأسماء واللغات: وذكر أن النبي ﷺ كناها أم أبيها، وقال: "فيه ما ينوّه بمقامها غاية التنويه"، إلى قوله: "فحيث نزلها أكرم الخلائق من نفسه الكريمة منزلة أكرم الخلق عليه" ^(٢).

غير أن تنزيله ﷺ لها في الحديث المشهور (فاطمة بضعة مني)، أو (فاطمة شجنة مني)، ليس أقل من هذا التنزيل؛ حيث نزلها هناك كجزء من نفسه، وهو النبي المرسل، الذي لا ينطق عن الهوى، فهل أراد الرسول ﷺ أن يكون هذا وصفا شرعيا يترتب عليه أحكام أخرى؟

قبل أن نحاول الإجابة على ذلك نجيب على السؤال القائل: لماذا قال عنها: (أم أبيها)، ولم يقل: (أمي)، أو (أم محمد)، أو (أم الرسول) أو (أم النبي)، ويبدو أنه إنما أراد القطع على سؤال الاستغراب القائل: كيف تكون أم محمد، أو أم الرسول، وهو في الواقع أبوها؟
إن علاقة فاطمة بوالدها الرسول علاقة مزدوجة؛ ففيها من الحيثيات

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٢، باب الحسن بن علي.

(٢) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٦٣.

ما جعلها ابنته، وهذه هي الحقيقة العرفية والشريعة، وقد أرادها في محطات كثيرة أن تكون ابنته كذلك، ولكن فيها أيضا من الحثيات الكثيرة ما يجعلها بمثابة أمه، أو مثل أمه صلوات الله عليهم أجمعين.

كثيراً من تصرفاتها معه تشير إلى حنانها وعطفها عليه كحنان وعطف الأمهات على أولادهن، فقد كانت تهتم به اهتمام الأم بولدها، فمنذ أيام طفولتها كانت تدفع عنه أذى المشركين، وتخفف آلامه وتضمّد جروحه، وتمسح الدم عن وجهه في الحرب، وإذا عاد من سفرٍ بادرت إلى استقباله واعتنقته وقبّلت بين عينيه، وكانت تتأثر لحاله وتحنو عليه^(١).

"لقد شاهد الناس هذه البنت الصغيرة، وهي تقف إلى جانب أبيها البطل، تزيل عنه الأذى، وتشر مقلتها أزمان القلق على مصيره، وتتحرك بلطف مواسيةً له في المصاعب كلها، بكلمات وتصرفات بريئة وحنونة، بروعة وجمال وجلال"^(٢).

في غزوة أحد أسرعت إليه فضمّدت جروحه، ومسحت عن وجهه الدم^(٣)، ولما ندم المشركون أنهم لم يقضوا نهائياً على المسلمين بعد هزيمتهم، وأزمعوا العودة، نزل أمر الله للمسلمين بالإسراع في مواجعتهم

(١) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص ٣٧.

(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص ١٤٦.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٣٥؛ ومسلم، الصحيح، ج ٣، ص ١٠١، رقم ١٤١١١؛ والبلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٢٤؛ والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٢٧؛ والحاكم، المستدرک، ج ٣، ص ٢٤؛ وسبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ١٦٤؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٦، ص ١٢٢.

على ما بهم من الجراح وفراق الشهداء، وهنا بادرت (أم أبيها) لتجهيز (ولدها) بالسلاح، وأعدته له، كفعل المؤمنات اليوم مع أبنائهن وهن يجهزهن إلى الجبهات.

وكانت تُقبِل عليه بأقراص الخبز إذا جاع، كما فعلت يوم الخندق^(١)، وفي فتح مكة صرَبَتْ له خيمته، وهَيَّأت له ماءً للاستحمام والاعتسال ليزيل عن جسده غبار الطريق، ويرتدي ثياباً نظيفة يُخرج بها إلى المسجد الحرام^(٢) كما تجهز الأم ولدها.

وكان إذا عاد من سفره بادر إلى بيتها، فتتلقاه على باب البيت، وتبكي إذا رآته "شعثاً نصباً، قد اخلولقت ثيابه"، فكان رسول الله يطمئنئها، وقد قال لها مرة: "لا تبكي، فإن الله قد بعث أباك بأمر لا يبقى على وجه الأرض بيت ولا مدر، ولا حجر، ولا وئر، ولا شعراً، إلا أدخله الله به عزا أو ذلاً، حتى يبلغ حيث بلغ الليل"^(٣)، ولكأنه هنا يخاطب بهذه الكلمات أمهات المجاهدين الذين يبتغون العزة من الله لا من أعدائه.

ومنذ توفي صلى الله عليه وآله ما رؤيت ضاحكة ولا متبسمة، إلا يوم صنعت لها أسماً بنت عميس النعش قُرب وفاتها^(٤)، وسمعت بلالا يؤذن حتى إذا بلغ: (أشهد أن محمداً رسول الله) شهقت وسقطت لوجهها وغشي عليها

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٣١٢.

(٢) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ص ١٦١؛ والذهبي، المغازي، ص ٥٥٥.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٢٢.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٣٩٨.

حتى ظن أنها فارقت الحياة^(١)، وقيل: إنها كمدت عليه، فلم تلبث بعده إلا قليلا^(٢). ويحمل أيضا على أنها كمدت على ما أصاب الإسلام من مخالفات خطيرة.

وكانت تتمثل بعد وفاته بهذه الأبيات:

قد كان بعدك أنباء وهينمة لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إن فقدناك فقد الأرض وأهلها واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت من العيون بتهمال له سكب^(٣)

هذه مواقف ومصادر توحى بأن فاطمة الزهراء بالفعل هي (أم أبيها).

غير أن أمرا هاما يجب التركيز عليه في مصداق هذا اللقب، ولعله هو المقصود منه عليها السلام، حيث تعيدنا سببية نزول (إنا أعطيناك الكوثر)، من أنها نزلت عليه حين عيّره العاص بن وائل السهمي بأنه أبت، ليس له ذكور، فرزقه الله هذه الأنثى التي منها الذرية الكثيرة والباركة، والتي سماها القرآن الكوثر، والذي يعني الكثرة والامتلاء والبسط والامتداد والحياة المستمرة، وهذا لم يحصل إلا في ذريته منها سلام الله عليها.

ذكر العلامة مجد الدين المؤيدي تفسير الطيفا دلالة لكنيتها (أم أبيها)؛ إذ قال: "وإذا كانت فاطمة بمنزلة الأم كان المختار بمنزلة الولد، فيكون

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٧٧.

(٢) أبو العباس الحسيني، المصابيح، ص ٢٦٧.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢١٢.

عقبها كما لو كانت أماله صلوات الله عليه وآله وسلم، وأعقت منه، فإن أولاده حينئذ أولادها لا محالة، وهذه دقيقة جليلة"^(١).

ويشهد لذلك قول رسول الله ﷺ: (كل بني أنثى ينتمون إلى أبيهم إلا ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتها)، وفي رواية (إلا ابني فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم)، وفي أخرى: (إلا ولد فاطمة فأني أنا أبوهم وعصبتهم)، وفي رواية: (ما خلا ولد فاطمة فأني أنا أبوهم وعصبتهم)^(٢).

قال في الروض النضير بعد أن ساق الأخبار الدالة على أبوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لولد فاطمة عليها وعليهم السلام: "قال بعض المحققين من العلماء: ظاهرُ كلامِ أئمتنا أنه حقيقة، وأن حكمه في ذلك يخالف حُكْمَ غيره ... ويدل على كونها حقيقة قوله ﷺ: (وأنا عصبتها)^(٣)".

وقد جعل القرآن الكريم ولد البنت عيسى بن مريم عليها السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام؛ إذ قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

إن هذا هو تفسير (أم أبيها)، فتلك الأنثى التي ابتدأت بأنها (بنت محمد)، انتهت وانتهى بها الإسلام إلى أن تكون (أم أبيها) محمد ﷺ،

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٨.

وليكون أعلام الهدى وأئمة الجهاد والتقوى من أهل بيته قرناء القرآن،
والثقل الأصغر من ذريته؛ إذ هم من ذريتها.

وبهذا يكون الله قد حفظ ذريته عليهم السلام في ذريتها، وجعل عقبه من
عقبها، وقد قال عليه السلام: (الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي
وصهري)^(١).

وبعد هذا أليست الزهراء (أم أبيها)؟

(١) ابن حنبل، المسند، ج ٤، ص ٣٢٣، رقم ١٨٩٢٧؛ والطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٠،
ص ٢٥، رقم ٣٠؛ والحاكم، المستدرک، ج ٣، ص ١٧٢، رقم ٤٧٤٧.

زوجة علي عليه السلام

لم تكن فاطمة تلك المرأة التي صادفتها تلك المميزات العظيمة وهي تنحشر في زاوية من بيت أبيها تعبد الله، ولا تريد أن تعالج شأنًا من شؤون الحياة، عازفة عن الزواج، راغبة عن مسؤولية الزوجية، والأمومة؛ لأن تلك هي الرهبانية التي لا يعرفها دين أبيها، وهي نوعٌ من أنواع الهروب من المسؤولية العبادية والجهادية في الإسلام.

لقد كانت فاطمة زوجة وأما وحماة مثلما كانت بنتا لأبيها وأماله أيضا، وكانت عضوة فعالة في مجتمع الإسلام؛ لذلك لا غرو أن استحققت أن تصل إلى مرتبة السيادة على نساء العالمين، وعلى نساء الأمة ونساء أهل الجنة.

بلغت الزهراء في المدينة مبلغ النساء الصالحات للزواج، وتجاوز سنها خمس عشرة سنة، وهنا لوبحث الناس حينها عن الزوج المناسب الذي يصلح لفاطمة وتصلح له حق البحث لما وجدوه إلا عليا عليه السلام، وهو ما أمر به الله تعالى، لتضيف فاطمة بنت محمد إلى أوصافها الجليلة: (زوج علي)، ثم (أم الحسين وزينب).

إنه لجدير ببنت محمد ﷺ أن تكون زوجة علي عليه السلام، غير أنها في كل الأحوال يجب أن تبقى (أم أبيها) لتكون أم أبنائه الميامين.

الكثير من الصحابة توقَّع أن هذه العقيلة المحمدية لا تصلح إلا لذلك الفتى الطالبي، وهو الفتى الذي طالما أظله ظلال بيت محمد عليه السلام منذ وقت مبكَّر، وتغذَّى فيه بغذاء العقل والروح بجانب غذاء البدن، وما توقَّعه الكثير فقد باركه الله أيضاً.

في ليلة الإسراء في السنة ١١ من البعثة، أعلم الله نبيه بأن خليفته هو علي عليه السلام، وأنه أبو سبطيه، وزوج فاطمة خير نساء العالمين^(١)؛ ولهذا ما إن بلغت فاطمة مبلغ الزوجات حتى بادر إلى خطبتها كبار صحابة الرسول عليه السلام، ومنهم أبو بكر، وعبدالرحمن بن عوف، وعمر، وعددٌ من أشرف قريش^(٢)، لكن رسول الله عليه السلام أخبرهم أن هذا الزواج من شأن العناية الإلهية، فقال لهم: (أنتظر القضاء)^(٣).

ويبدو أن الحياء، وقلة ذات اليد، وتهيَّب مفاتحة الرسول عليه السلام هو ما منع علياً عليه السلام من طرُق باب المصطفى خاطباً لهذه الشريفة المطهرة، ولما ردَّ رسول الله أشرف قريش تأكَّد أن علياً هو الاختيار المناسب لفاطمة عليها السلام؛ لذا حرَّض البعض علياً عليه السلام على التحرك لخطبة فاطمة عليها السلام^(٤).

(١) الإمام زيد، مسند الإمام زيد بن علي، ص ٣٦٢.

(٢) أبو طالب، الإفادة، ص ٢٠، وابن الأمير، الروضة الندية، ص ٢٤٨، نقلًا عن ذخائر العقبين.

(٣) أبو طالب، الإفادة، ص ٢٠.

(٤) أمالي أحمد بن عيسى، ج ٢، ص ٧٠.

ويبدو أن رسول الله ﷺ كان قد أرسل رسائل صريحة مهّدت الطريق لعلي عليه السلام، عقب نزول أمر الله بتزويج فاطمة منه، فقد روى عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الله أمرني أن أزوّج فاطمة من علي عليه السلام)^(١)، وروى الإمام علي عليه السلام في حديث صحيح أن رسول الله ﷺ قال: (أتاني ملك، فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إني قد زوّجت فاطمةً ابتك من علي بن أبي طالب في الملاء الأعلى، فزوّجها منه في الأرض)^(٢)، وأراد الرسول ﷺ أن يبيّن موقفه في ردّه للخطاب، لما قال ﷺ فيما رواه الإمام علي عليه السلام نفسه: (إنما أنا بشر مثلكم أتزوّج فيكم وأزوّجكم لإفاطمة، فإنها نزل تزويجها من السماء)^(٣).

إذن المسألة لم تكن خاضعة للاختيار البشري، بل هناك عناية إلهية خاصة بهذا البيت وتميئته لمهمات جسام، وأعمال عظام، إنها استثنائية فاطمة، وبيتها الذي أجرى الله منه كوثر المصطفى، وأخرج أعلام الهدى ليقيموا منار الحق، ويعلموا أحكام القرآن على مدار الأزمان، إنه اختيار الله عز وجل وقضاؤه وخيرته، وآية كونه زواجا إلهيا جلالة بساطته، وعظم أخرويته، إنه زواج النبيين والصدّيقين والمجاهدين.

(١) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ٨٩؛ والمرشد بالله، الأمالي الإثنيية، ص ٢٢٩؛ والطبراني، المعجم الكبير، ج ١٠، ص ١٥٦، رقم ١٠٣٠٥. قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٠٤: رجاله ثقات.

(٢) صحيفة الرضا، ص ٩٤.

(٣) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ١٣٧؛ وأبو العباس الحسني، المصباح، ص ٢٣٢.

سنها عند الزواج؟

تفاوتت الروايات والمصادر حول تحديد سن زواج فاطمة عليها السلام، وأغربها تلك التي ترجّح أنها زوّجت في السنة الثانية من الهجرة، بينما تحدّد سنّ ولادتها بالسنة الخامسة للبعثة، وهذا يعني أنها تزوجت وعمرها تسع سنوات تقريبا، وأنجبت الحسن عليه السلام، وعمرها عشر سنوات، وهناك روايات تجعل ولادتها قبل البعثة بخمس سنوات، وعليه فسن زواجها يكون تسع عشرة سنة تقريبا، غير أن ما يترجح لدينا هو أن عمرها كان خمس عشرة سنة تقريبا.

أولا لأنه لن يبادر الخطّاب إلى خطبة صبية صغيرة كما لن يتأخروا على عقيلة محمدية كفاطمة سنة أو سنتين من بعد بلوغها الخامس عشرة سنة، وكنا قد رأينا كيف أن كبار أشراف قريش بادرُوا لخطبتها، وسارعوا إلى التشرّف والفوز ببنت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم تحدّد بعض المصادر الموثوقة سنّها كما ترجح لدينا، وهو خمس عشرة سنة، ففي رواية عن الإمام القاسم بن إبراهيم أن عمرها كان أربع عشرة سنة^(١)، لكنه يحمل على سن خطبتها وليس البناء بها، وأن البناء لم يتم إلا

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٢٨.

وهي في خمس عشرة سنة، ويرجح ذلك أنه تم في روايةٍ تحديدهُ عمرها تحديداً دقيقاً، وهي خمس عشرة سنة، وخمسة أشهر، ونصف^(١)، وإذا كانت قد توفيت وعمرها ثلاثٌ وعشرون سنة بحسب رواية الباقر عليه السلام^(٢) وأن الإمام علياً عليه السلام بنى بها في السنة الثانية من الهجرة فهذا يعني أن عمرها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر تقريباً كما ذُكر في تلك الرواية المفصلة، وكما أكدت ترجيح ذلك قرائن مر ذكرها في مواضع متعددة.

وهكذا يكون الإمام عليه السلام خطبها في صفر سنة ٢ من الهجرة، لكنه بنى بها بعد معركة بدر بأربعة أشهر في ذي الحجة^(٣).

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٣؛ والطبري، ذخائر العقبين، ص ٢٦.

(٢) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ١٣٩.

(٣) أبو طالب، الإفادة، ص ٢٠؛ ويقارن أبو العباس الحسني، المصابيح عن الإمام القاسم بن

إبراهيم، ص ٢٣٢.

خُطْبَتُهَا

انطلق الإمام عليه السلام ليخطب فاطمة وكانت قد حثته مولاة لهم قائلة له: إن فاطمة قد خُطِبَتْ إلى رسول الله ﷺ فما يمنعك أن تخطبها؟ قال: فقلت: وعندي شيء أتزوَّجها به؟ فقالت لي: إن أتيته زوَّجك، فما زالت توبِّخني حتى أتيته، فدخلت عليه، فقال لي: (ما جاء بك وما حاجتُك؟ لعلَّك جئتَ تخطبُ فاطمة؟) قال: قلتُ: نعم يا رسول الله ^(١).

ولا تحكي الروايات التي اطلعت عليها أيًا من الأغرام أو التكاليف التي أرهق أهل هذا الزمانِ عاداتهم الاجتماعية بها بما صعَّب الزواج وبعده، بل تحكي التيسير والتسهيل لبناء بيوت العفاف والطهارة، وهو ما يتناسب مع التعاليم التي أطلقها الإسلام وحث عليها في التيسير والتسهيل وقلة المؤنة.

(١) أحمد بن عيسى، رأب الصدع، ج ٢، ص ١٠٢٠.

إيذائها

عن عطاء بن أبي رباح، قال: لما خطب علي فاطمة عليها السلام أتاها رسول الله ﷺ، فقال: "إن عليا قد ذكرك"، فسكتت، فخرج فزوجها^(١).

وهذا درس هام يجب أن يتعلمه الأهلون عند تزويج بناتهم، فعلى الأب أن يستأمر ويشاور ابنته؛ لأن هذه حياتها، ولها الحق في تأمين حياتها بما يتناسب والقيم والمبادئ الإسلامية العادلة، كما للولي الحق في ترشيد عملية الاختيار على ضوء تلك المبادئ أيضا، وهذا رسول الله ﷺ يشاور فاطمة التي قد أمر الله عز وجل بتزويجها، تعليها لأمته أن يسلكوا الطريق المرضي والآمن في هذا الجانب من الحياة.

(١) الطبري، ذخائر العقبى، ص ٢٩، ٣٣؛ وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٠؛ وسبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٠٨.

مهرها

وهاكم مقدار مهر فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين، أيتها الأخوات والبنات، لتعلموا هدي المصطفى في مهر بنته الحوراء سيدة نساء الدنيا والأخرى، وأن البركة في أقل النساء مؤنة ومهرا، كما ورد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله الطاهرين.

هناك روايات تذكر أن مهرها كان أربع مئة مثقال فضة^(١)، وقيل: اثنا عشر أوقية فضة، أي ٤٨٠ مثقال، غير أن الصحيح عند أهل البيت عليهم السلام هو أنه كان اثني عشر أوقية ونصف أوقية، تبلغ ٥٠٠ درهم^(٢)، والدرهم هو مثقال فضة.

وهذا الصحيح في مرويات أهل البيت عليهم السلام هو أكثر ما ذكرته كتب التاريخ من صداق فاطمة عليها السلام؛ فقد روي أنه لما جاء علي عليه السلام قال له: أعطها شيئا، فقال: ما أجد شيئا، قال: فأين درعك الحطمية^(٣)، التي سلَّحْتُكها؟ فقال: هي عندي^(٤)، فأمره ببيعها، فباعها باثنتي عشرة

(١) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ٨٩؛ وأبو العباس الحسني، المصابيح، ص ٢٣٩؛ وأحمد بن عيسى، رأب الصدع، ج ٢، ص ١٠٢٠.

(٢) ينظر الإمام زيد، مسند الإمام زيد بن علي، ص ٣٠٣؛ وأحمد بن عيسى، رأب الصدع، ج ٢، ٩٨١، ١٠٢٠؛ والمؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٢٨.

(٣) دروع تنسب إلى رجل كان يعملها، وقيل: هي التي تحطمُ السيف أي تكسرها، وقيل هي العريضة الثقيلة، وقيل: منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال لهم حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع. ابن منظور، لسان العرب، مادة حطم.

(٤) أحمد بن عيسى، رأب الصدع، ج ٢، ص ١٠٢٠.

أوقية^(١)، وفي الرواية الصحيحة أيضا: أن صداقها كان جُرْدُ بُرْدٍ حَبْرَةَ^(٢) ودرع^(٣)، والدرع هو تلك الحطمية، وبهذا يتبين أن الدرع (١٢٥) أوقية والتي تساوي خمسة مئة درهم هي مجموع ثمن بيع البُرْد والدرع.

قال الإمام علي عليه السلام: (أنكحني رسول الله ﷺ ابنته فاطمة علي اثنتي عشرة أوقية ونصف من الفضة)^(٤).

إن قلة المهر أدب من آداب الإسلام، وها هي فاطمة عليها السلام وهي سيدة النساء، ومثلها جميع زوجات النبي ﷺ، كان مهرهن ذلك المهر الذي لم يتجاوز الدرهم (٥٠٠) درهم^(٥)، أي بما يساوي ٢٠ ألف ريال يميني تقريبا، قبل حوالي ١٥ سنة مثلا، يوم كان القرش الفرانصي بـ ٥٠٠ ريال يميني^(٦).

(١) أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج ١، ص ٣٦٢، رقم ٤٧٠؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٣٣٢، رقم ١٥٢١١.

(٢) برود حبرة: ضرب من البرود يمانية، يقال: برد حبير، وْبُرْدُ حَبْرَةَ، يطلق بالوصف والإضافة، والحبير من البرود: ما كان موشيا مخططا، والمجرد من الثياب: ما انسحق ولان.

(٣) أحمد بن عيسى، رأب الصدع ج ٢، ص ١٠٢٤، والعجري، المختار، ص ٣٤٢.

(٤) الإمام زيد، مسند الإمام زيد بن علي، ص ٣٠٣؛ والعجري، المختار، ص ٢٤٠.

(٥) أحمد بن عيسى، العلوم، ج ٢، ص ٦٤.

(٦) فإذا عرفنا أن نصاب الفضة للزكاة كما هو مقرر في الفقه الإسلامي ٢٠٠ درهم، وأنه صار معروفاً أنه ١٦ ريال فرانصي لإربع، وإذا افترضنا أن الريال الفرانصي بـ ٥٠٠ ريال كما كان قبل حوالي ١٥ سنة، فإن ذلك يعني أن الدرهم (٥٠٠ درهم) مهر فاطمة تصير بحوالي (١٩ ألف ريال)، ومع مراعاة انخفاض سعر الصرف للعملة اليمنية هذه الأيام، والفارق في القدرة

ولا يعني قلة المهر بأي حالٍ من الأحوال بخس المرأة لحظها، كما ليس في المغالاة في المهور أيُّ تكريم لها؛ وصدق الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (ت ٤١١ هـ) إذ يقول: "وروي أن النبي صلى الله عليه وآله زوج ابنته فاطمة على صداقِ خمسِ مئةِ درهم، وهي سيدة النساء، وقد علمنا أنه صلى الله عليه وآله لم يكن ليخسها حظها"^(١).

الشرائية للفضة بين زمن فاطمة عليها السلام وزمننا هذا، فإن هذه النتيجة تقريبية.
(١) المؤيد بالله، شرح التجريد، ج ٣، ص ٩٦، باب القول فيما يصح أو يفسد من النكاح.

خطبة العقد

جمع رسول الله ﷺ جمعا من أصحابه لِيُشْهَرِ فِيهِمْ عَقْدَ زَوْاجِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ فَاطِمَةَ، وَخَطَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَحْمُودِ بِنِعْمَتِهِ، الْمَعْبُودِ لِقُدْرَتِهِ، الْمَطَاعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمَرْهُوبِ مِنْ عَذَابِهِ، الْمَرْغُوبِ إِلَيْهِ فِيمَا عِنْدَهُ، النَّافِذِ أَمْرُهُ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أَزُوجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ، فَقَدْ زَوَّجْتُهُ عَلَى أَرْبَعِ مِئَةِ مِثْقَالِ فِضَّةٍ ^(١))، إِنْ رَضِيَ بِذَلِكَ عَلِيٌّ، وَكَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَائِبًا فِي حَاجَةِ الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ دَعَا بِطَبَقٍ فِيهِ بُسْرٌ، فَقَالَ: (انْتَهَبُوا)، وَبَيْنَمَا كَانِ الْحَاضِرُونَ يَنْتَهَبُونَ إِذْ دَخَلَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (يَا عَلِيُّ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَزُوجَكَ فَاطِمَةَ، فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا عَلَى أَرْبَعِ مِئَةِ مِثْقَالِ فِضَّةٍ إِنْ رَضِيَتْ)، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَضِيْتُ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (جَمَعَ اللَّهُ شِمْلَكُمَا، وَأَسْعَدَ جَدَكُمَا، وَأَخْرَجَ مِنْكُمَا كَثِيرًا طَيِّبًا) ^(٢). قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ ^(٣).

(١) هذا لا ينافي ما تقدم، فربما تذكر الرواة العقد في المبلغ وغفلوا عن الكسور، وربما حسبوا ثمن الدرع فقط، ولم يحسب قيمة بقية الأشياء مثل البرد الحبرة، وغيره، أو هكذا بدأ المهر ثم انتهت بما يساوي ٥٠٠ درهم.

(٢) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ٨٩ - ٩٠؛ وأبو العباس الحسني، المصابيح، ص ٢٣٣؛ وابن الأمير، الروضة الندية، ص ٢٤٨.

(٣) ابن الأمير، الروضة الندية، ٢٤٨؛ وقال: أخرجه القزويني الحاكمي.

جهاز بيتها

من المهم جدا أن تعرف المرأة المسلمة اليوم ما هو الجهاز الذي جُهِّزَ به بيت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وبنْتُ خَيْرِ النِّبِيِّينَ، وزوجةُ سيد الوصيين، وأم سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين.

لقد جُهِّزَ بيتها سلام الله عليها بخميل^(١)، وقربة من جلدٍ للشرب، ووسادة من آدم (جلد) حشوها ليفٌ إذخر^(٢). أما الفراش فقد كان جلدًا كبشٍ، كانا يقلبان صوفه فيفترشانه^(٣)، وكان هذا الفراش له عددٌ من الوظائف فكانا ينامان عليه الليل، ويعلقان عليه الناضح في النهار^(٤)، وربما عجنت على طرفه الزهراء كما سيأتي.

وأما (موكيت) بيتهم فلم يكن سوى رملٍ من بطحاء الروحاء جاؤوا به فبسطوه في البيت، بالإضافة إلى كوزٍ وجرّة، ورحاءٍ، وسقاء^(٥)، وكان

(١) الخميل: قطيفة ذات أهداب، وهي كل ثوب له حمل من أي شيء كان.

(٢) أحمد بن عيسى، علوم آل محمد، ج ٢، ص ٧٣؛ وينظر أحمد، المسند، ج ٢، ص ٢٨٤، رقم ٧٧٨؛ والنسائي، السنن الكبرى، ج ٥، ص ١٤٤، رقم ٨٥١٠؛ والحاكم، المستدرک، ج ٦، ص ٣٦٩، رقم ٢٧٠٥. والإذخر: نبات طيب الرائحة.

(٣) ينظر أحمد بن عيسى، علوم آل محمد، ج ٢، ص ٦٤، رأب الصدع، ج ٢، ص ١٠٢٤؛ والعجري، المختار، ص ٥٠٠.

(٤) المرشد بالله، الأمالي الإثنيينية، ص ٢٢٩؛ والطبري، ذخائر العقبين، ص ٣٥.

(٥) ابن حنبل، المسند، ج ٢، ص ٢٨٤، رقم ٧٧٨؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٣٣٦، رقم ٥٢١٦.

أبوها عليه السلام قد قبض دراهم من مهرها وأمر بأن يُشْتَرَى لها طيب ^(١).
وعُرِضَ عودٌ في جانب بيتِ علي عليه السلام ليلقي عليه الثوب ويعلق
عليه السقاء ^(٢).

وكان هذا دأب أبنائها من أعلام أهل البيت عليهم السلام؛ فهذا الإمام
يحيى بن حمزة عليه السلام، كان يَفْتَرِشُ بساطاً خليفاً ^(٣)، فقيل له: لو أخذت بساطاً
جديداً، فقال: لو شئتُ أن يكون بساطي من ذهبٍ لفعَلْتُ، ولكن لنا أسوة
برسول الله عليه السلام، جهَّزَ ابنته سيدة نساء العالمين، ابنة رسول الله عليه السلام زوجة سيد
الوصيين بوسادة من آدم، حشوها ليف، وإهاب كبش، كانت فاطمة عليها السلام
تعجن على ناحية، وينامون على ناحية، وأمر عليه السلام أن يُنْشَرُ في بيتهم ليلة بنى
علي عليه السلام بها من بطحاء الروحاء ^(٤).

هذا هو بيتُ فاطمة عليها السلام، لتتعلم منه المرأة اليوم دروس العزة
والكرامة وكيف تصنع السعادة والعظمة من البساطة والقناعة، وفي ذلك
حل كبير لمشاكل اجتماعية جمّة، نتجت عن الصعوبات التي وضعتها
انحرافات الوعي الاجتماعي الإسلامي اليوم، وكانت ولا زالت تهدد
نسيج الأمة وتماسكها.

(١) الطبري، ذخائر العقبين، ص ٣٤؛ وابن حبان، الصحيح، ج ٢٨، ص ٤٢٩، رقم ٧٠٧٠.

(٢) ابن ماجة، السنن، ج ١، ص ٦١٦، رقم ١٩١١.

(٣) بال غير جديد.

(٤) صلة الإخوان، -خ- الفصل السادس، مكارم الأخلاق.

في هذا البيت البسيط والمتواضع بهذا الجهاز كان يستهج سيد الأنبياء والمرسلين، وسيد الأوصياء والمتقين، وفيه الزهراء، سيدة نساء العالمين، وفيه ولِد وتربى سيدا شباب أهل الجنة، وزينب الكبرى، وأم كلثوم بنتا الزهراء، وهو البيت الذي كان يمر عليه الرسول ﷺ فجَرَ كلَّ يومٍ لعدد من الشهور، إذا خرج لصلاة الصبح، فينادي: (الصلاة الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)، وهو البيت الذي لكرامة الله أمر بسد أبواب بيوت الصحابة المشرعة إلى المسجد إلا بابه.

فهل ترون أيها الأزواج وترين أيتها الزوجات هذا الجهاز المتواضع
قصر هذا البيت عن أن يبلغ قمة الشرف، وغاية السعادة!!

وليبتها

أولم علي عليه السلام في عرس فاطمة تلك الوليمة، التي لا مراءاة فيها ولا مكاثرة، وظلّت تلك الوليمة أفضلَ الولائم في نظرٍ مَنْ حضرها من الصحابة، كما روي عن بنت عميس^(١)، وجابر الأنصاري^(٢).

ذهب الإمام عليه السلام ليرَهَنَ دِرْعَهُ عند يهودي في شَطْرِ شعير^(٣)، واستعدَّ بعضُ الصحابة من الأنصار للتعاون في هذه الوليمة، فقال سعد: عليٌّ كبشٌ، وقال فلان: عليٌّ كذا، وقال فلان: عليٌّ كذا^(٤)، وجمع له رهطٌ من الأنصار أصعاً^(٥) من ذرة^(٦).

كان عماد تلك الوليمة كما في رواية عند أهل البيت عليهم السلام - الحيس^(٧)، وهو طعامٌ يَتَّخَذُ من التمر، والإقط، والسمن، وقد يستعاض الإقط

(١) الطبري، ذخائر العقبين، ص ٣٣، عن الدولابي

(٢) الطبري، ذخائر العقبين، ص ٣٤، عن أبي بكر بن فارس. والرواية تقول: إنها أسماء، ولكن يترجح أنها سلمى أختها كما سيأتي.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٤، ١٤٥، رقم ٢٠٤٠٤٠؛ وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ١٤.

(٤) ابن حنبل، المسند، ج ٥، ص ٣٥٩، رقم ٢٣٠٨٥؛ والطبري، ذخائر العقبين، ص ٣٣.

(٥) أي عدد من الصيعان، حيث يجمع صاع على أصوعٍ وصيعانٍ، وَأَمَّا أَصَعٌ فَقَلْبٌ أَصْوَعٌ بِالْمَهْمَزَةِ لِصَمَةِ الْوَاوِ كَأَدْرِ فِي أَذْوَرٍ. ويقدر الصاع بأربعة أمداد بكف الرجل المتوسط.

(٦) النسائي، السنن الكبرى، ج ٦، ص ٧٣، رقم ١٠٠٨٨؛ والطبري، ذخائر العقبين، ص ٣٣.

(٧) العجري، إعلام الأعلام، ص ٢٣٢.

بالدقيق أو الفتيت، وهو طعامٌ كانت المدينة تتكفّل بموادّه الأساسية، كالتمر، والسمن، أو الإقط، والفتيت، والدقيق.

غير أن هناك روايات تُثبِتُ أن هناك أصنافاً أخرى في الوليمة، ومنها الزبيب^(١)، وورد أن وليمته كانت أصعاً من شعير، وتمر، وحبس^(٢)، ويظهر أن كبش سعد^(٣) بالإضافة إلى شاةٍ أمرَ رسولُ الله بلالاً بجلبها^(٤) كانا لحم هذه الوليمة، في أكثر الاحتمالات.

وحَدّدت بعضُ الروايات كميةَ الطعومات فيها بأصع^(٥)، وأن رسول الله ﷺ دعا المهاجرين والأنصار إلى وليمة ابتته، وأدخلهم دفعة دفعة، وبركته ﷺ ومعجزةً له أكلوا وشبعوا جميعاً، وإن كان كما يبدو لم يُحصَرُ جميعهم، بل حضر من كان قريباً من مكان الوليمة في بيت رسول الله ﷺ؛ لأن المدينة كانت أحياناً متفرقة بين العالية والسافلة.

وكانت هناك وليمة أيضاً خاصة بالنساء خصوصاً نساء الأنصار، فقد أعطى رسول الله ﷺ أصعاً من تمر وشعير لإطعام نساء الأنصار منها^(٦).

(١) الطبري، ذخائر العقبين، ص ٣٤، وقال: أخرجه أبو بكر بن فارس.

(٢) الطبري، ذخائر العقبين، ص ٣٣، عن الدولابي.

(٣) ابن حنبل، المسند، ج ٥، ص ٣٥٩، رقم ٢٣٠٨٥؛ والطبري، ذخائر العقبين، ص ٣٣.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٤١١، رقم ١٠٢٢؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٠٩.

(٥) المصدران السابقان.

(٦) المصدران السابقان.

(٧) العصامي، سمط النجوم العوالي، ج ٢، ص ٢٢٠.

هذه الوليمة على بساطتها وانتمائها الأصيل إلى الإسلام المحمدي، وعلى الطريقة النبوية لم يَنْسَهَا الصحابة، ولم ينسوا أجواءها الطيبة، ورائحتها الزكية، فقد قال جابر: حضرنا عُرْسَ علي وفاطمة، فما رأينا عُرْسًا كان أطيَّبَ منه، حشونا البيت طيبًا، وأُتِينَا بتمر وزبيب فأكلنا^(١).

وهذا يظهر أهمية التيسير في الولايم، واعتماد الأطعمة المتوفرة، مما يوفر موادّها بلد العُرْس نفسه، كما يظهر أهمية التعاون بين المسلمين وإعانة بعضهم بعضًا في مثل هذه المناسبات الاجتماعية.

(١) الطبري، ذخائر العقبين، ص ٣٤، عن أبي بكر بن فارس.

زفافها

أمر النبي ﷺ بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة وزفافها إلى بيت الزوجية، وأن يفرحن ويرجنن، ويكبرن ويحمدن، ولا يقلن ما لا يرضي الله، فارتجت أم سلمة وعائشة وحفصة، ومعاذة أم سعد بن معاذ، وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كل رجز، ثم يكبرن، إلى أن دخلن الدار^(١).

وكانت أم أيمن مولاة الرسول ﷺ هي من أمرها رسول الله ﷺ أن تدخل مع فاطمة، وتبلغ عليا بأن لا يعجل حتى يأتيه رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ العشاء أقبل بركوة كان فيها ماء، فدعا فيها، وقال ما شاء الله أن يقول، وتوضأ منه، ثم نضح بها بين تديي فاطمة، وعلى رأسها، وبين كتفيها، ثم قال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم نضح به عليا عليه السلام على رأسه، وبين يديه، وقال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم^(٢)، ثم دعاهم قائلا: (اللهم بارك فيهما،

(١) الكعبسي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص ٦٣، نقلًا عن المناقب، ج ٣، ص ٣٥٤؛ والمجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١١٥.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٤٠٩، رقم ١٠٢١؛ والمهشمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٠٦.

وبارك لهما في شملهما)، وقال لعلي عليه السلام: (ادخل على أهلك باسم الله والبركة)^(١)، وتذكر بعض الروايات أنه حين جمع بينها دعا لهما، ولم يُشرك في دعائهما أحدا غيرهما، فدعا لهما ثم جعل يدعو له كما دعا لها^(٢).

وفي تلك الليلة لما بكت لفراق والدها ذكَّرها النبي ﷺ بأهم مقاييسها في الرجال؛ إذ قال لها: (ما يبكيك يا بنية، قد زوّجتك أقدمهم إسلاما، وأحسنهم خلقا، وأعلمهم بالله تعالى)^(٣)، وفي رواية: (زوّجك سيّد في الدنيا والآخرة، وإنه أول أصحابي إسلاما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما)^(٤)، وهي مقاييس ومؤهلات فاضلة تنتمي لحياة الإيمان والتقوى، إنها الأكثرية في العلم، والسبق إلى الإسلام، وأحسنية الخلق أو أعظمية الحلم، وهو ما يجب أن تجعله فاطمة اليوم في أعلى قائمة مقاييسها في الزوج الذي تريد أن تختاره شريكا لحياتها.

وقد زارها النبي ﷺ في صبيحة العرس، وقيل في صبيحة اليوم الرابع من العرس، فسأل عليا عليه السلام: كيف وجدت أهلك؟ فقال: نعم العونُ على طاعة الله، وسألها عن زوجها، فقالت: خير بعل، فقال: (اللهم اجمع شملهما، وألف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم،

(١) الطبري، ذخائر العقبين، ص ٣٣؛ وقال خرجه النسائي، والدولابي.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٠٩٩.

(٣) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ١٤٠.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٠٩٩.

وارزقها ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتها البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك^(١).

ودخل عليهما يوما وهما يضحكان فلما رأياه سكتا، فقال لهما رسول الله ﷺ: (ما لكمما كنتما تضحكان، فلما رأيتماني سكتتما؟)، فبادرت فاطمة، فقالت: بأبي أنت يا رسول الله، قال هذا وأشارت إلى علي عليه السلام: أنا أحب إلى رسول الله منك، فقلت: بل أنا أحبُّ إلى رسول الله منك، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: (أنت ابنتي، ولك رقة الولد، وعلي أعزُّ منك)، وفي رواية مخاطبا لعلي عليه السلام: (فاطمة أحبُّ إليَّ منك، وأنت أعزُّ عليَّ منها)^(٢).

(١) الكعبي، سيدة نساء فاطمة الزهراء، ص ٦٦؛ نقلا عن (مناقب ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ١٥٥، وبحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١١٧).

(٢) العصامي، سمط النجوم العوالي، ج ١، ص ٢٢١؛ وقال: أخرج الرواية الأولى الطبراني، برجال الصحيح عن ابن عباس، وأخرج الأخرى عن أبي هريرة أيضا.

الزوجية إكرام وتقدير

أن يُكْرَمَ كُلُّ من علي والزهراء الآخر منهما، وهما جميعا قد بلغا في الفضل والمجد غايته فهذا تكليف شريف وعظيم، وسؤددٌ يشرف صاحبه، لا يقل عن أن يكرم زوجان عاديان بعضهما، فكلُّ فيه كلفة، حتى لا يقال: إنه من السهل أن يُكْرَمَ علي فاطمة والعكس، وهما من عليّة الأمة، وخير الخلق فيها.

وما أجدر الزوجين اليوم لا سيما ذينك المنتميين إلى علي والزهراء محبة واتباعا، ما أجدرهما أن يكونا على ذات التكريم والمودة والمحبة وحسن الصحبة والمعاشرة، ما أجدر أن يقابل طاعة الزوجة وحسن تبعلها لزوجها رحمةً ومودةً وتقديرٌ وإكرامٌ من الزوج لها؛ وبهذا تستقيم الأسرة، ويصلح المجتمع، ويؤديان وظائفها العظيمة في طاعة الله وعبادته.

لقد وَجَدَتْ فاطمة الزهراء نفسها في بيت علي عليه السلام أمام مسؤوليات جديدة، وأول تلك المسؤوليات علاقتها مع زوجها الإمام علي عليه السلام؛ ولا ريب في أنه قد سادت علاقة رائعة بين هذين الزوجين الكريمين فما عَرَف التاريخ فاطمة إلا وهي مطيعة لزوجها موافقة له معينة له في طاعة الله، وتؤثره على نفسها، وكان كلما نظر إليها بعثت في قلبه السعادة والحبور.

أخرج ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري، قال: قال علي عليه السلام ذات

يوم: يا فاطمة هل عندك شيء تغدينيه؟ قالت: لا والذي أكرم أبي بالنبوة، ما أصبح عندي شيء منذ يومين، إلا شيء أؤثرُك به على بطني، وعلى ابني هذين، قال: يا فاطمة ألا أعلمتيني حتى أبغيكم شيئاً؟ قالت: إني أستحيي من الله أن أكلفك ما لا تقدر عليه، فخرج من عندها واثقا بالله حسن الظن به، وذهب ليتدبر أمره في تلك الساعة^(١).

هذه فاطمة التي تفضّل زوجها على نفسها بل وعلى ابنيها، وتستحي من الله أن تكلفه ما تظن أنه لا يقدر عليه من أمور النفقة الضرورية، فما بال فاطمة اليوم تُرهِق زوجها بمطالب وتكاليف من حيث يقدر ومن حيث لا يقدر في أمور الملابس والاكسسوارات والموضات؟!.

فاطمة سلام الله عليها لم تخالف زوجها في أمر، وقد قالت لزوجها عليه السلام في مرض موتها: (يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني، فقال عليه السلام: معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبرُّ وأتقى وأكرم وأشدُّ خوفاً من الله، من أن أوبّخك بمخالفتي)^(٢).

وهي تلك التي وصفها زوجها بقوله: (والله ما أغضبتهُ ولا أكرهتهُ على أمرٍ حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبنتني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنتُ أنظر إليها فتكشفُ عني الهموم والأحزان)^(٣).

(١) ابن الأمير، الروضة الندية، ص ٢٥٢.

(٢) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص ٦٨، نقلا عن مصادره.

(٣) الإربلي، كشف الغمة، ج ١، ص ٣٦٣؛ ومناقب الخوارزمي، ص ٢٤٧.

هي تلك التي ضربت الأمثلة العالية للزوجة المثالية في الطاعة وحسن العشرة، ورغم أنها كانت تجرُّ الرحن حتى تمجُّل يداها، وتستقي بالقربة حتى تؤثّر في نحرها، وتكنس البيت حتى تغبرّ ثيابها، وتوقد في القدر حتى تدكنّ ثيابها^(١) - فما كان يزيدا ذلك إلا ألقا وصبرا وتمجُّلا وسعادة، ويحق القول: إنه لولا علي لما كانت فاطمة، ولولا فاطمة لما كان علي بذلك النحو الذي ظهر عليه في التاريخ إنجازا ومجدا وكرامة.

وتستمر الزهراء في التقدير العظيم لشخص زوجها، ولا تكتفي باحترام زوجها، بل تذهب في هذه الحياة لتنثر بذور المحبة للإمام علي عليه السلام، فتحدّث أبناءها وأمة أبيها بما سمعته من والدها في إكرام علي عليه السلام، وتروى الحديث الذي مر ذكره سابقا^(٢).

لقد كانت تحترم وتقدر زوجها؛ أولا لأنه زوجها الكريم، وبعلمها البطل الشجاع العالم المجاهد، ثم لأنه علي عليه السلام وصي رسول الله، وأبو ذريته؛ ولهذا وقفت معه في موضوع ولاية الأمة حينما اغتصب أمره الذي عينه له الإسلام.

وها هي في خطبتها في مواجهة أبي بكر تذكر مواقف الإمام علي عليه السلام قائلة عنه: (كلّمنا أوقدوا للحرب نارا أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان،

(١) السيوطي، مسند فاطمة، نقلًا عن أبي داود، والعسكري، وأبي نعيم، وعبدالله بن أحمد بن حنبل.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الخميسية، ج ٢، ص ١٣٠ (ترقيم آلي).

أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فما ينكفر حتى يطمأ جناحها بأخصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مُجِدِّا كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم^(١).

وتقول عنه أمام نساء المهاجرين والأنصار، معللة ما نعموا به عليه فأزاحوه عن حقه في ولاية أمر الأمة: (وما نعموا من أبي حسن؟ نعموا والله نكير سيفه، ونكال وقعه، وشدة وطأته، وتنمره في ذات الله)^(٢).

هكذا كانت الزهراء تنظر إلى زوجها الإمام وبهذا كانت تصفه، وكانت تلبي نداءه في كل وقت بدون تأفف أو تضجر، وفي مرة من المرات طرق بيتهم مسكين^٣، يطلب طعاما، فما كان منها إلا أن قالت:

أمرك سمعُ يا ابن عمِّ وطاعة مابى من لؤم ولا وضاعة^(٤)

وبالمقابل فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام نعم الزوج، والبعل، لا يُغضبها ولا يُكرهها على شيء، ويقدرها غاية التقدير، وقد مضى كلامه في ذلك؛ إذ قال: (والله ما أغضبتهُ ولا أكرهتهُ على أمرٍ حتى قبضها اللهُ عزَّ وجل^(٥))، وحين يراها وقد أثر عليها التعب وكثرة العمل في البيت

(١) الشرفي، اللآليء المضيئة - خ -؛ وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢٥٠.

(٢) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص ٢٦٩.

(٣) الكوفي، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ج ١، ص ١٧٩، رقم ١٠٣.

(٤) الإربلي، كشف الغمة، ج ١، ص ٣٦٣؛ ومناقب الخوارزمي، ص ٢٤٧.

وتتراحم عليها الأعمال يرق لها ويقترح أن تذهبَ إلى أبيها لعلَّها تظفرَ منه بخادم من السبي يعينها، ولكنها تعود بخير الدنيا، من الدعاء لله والمناجاة، والتسبيح، فيقول لها: خير أيامك، خير أيامك.

وما أجمله من زوجٍ يشعُرُ بمعاناة زوجته وتعبها، وما أجملها من زوجة ترضى بما قسم الله لهم، وبقضاء الله وخيرته التي اختارها لأهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما أعدلُه وهو يعتبرها مصدر سعادته وانجلاء هوموه وأحزانه، وهو الرجل الذي ما عرَف إلا المعاناة واقتحام المعارك، ومصاولة الأبطال.

ولما قالت له: (ولا خالفتك منذ عاشرتني)، قال: (معاذ الله أنت أعلم بالله، وأبر، وأتقى، وأكرم، وأشد خوفًا من الله من أن أوبخك بمخالفتي)^(١).

وربما اختلفت الرؤى والتقديرَات لبعض الأمور فيجري بينهما من الاختلاف الراشد، والحوار الهادئ، ما لا يخرج إلى الإيذاء والإغصاب، فتشدد فاطمة على موقفها، فلا يملك إلا أن يُكرِمَها ويسكُت أن يُجيبَها بشيء، بل إنه مرة وضع على رأسه ترابًا إكرامًا لها، فرآه رسولُ الله ذلك اليوم، والترابُ على رأسه فمسحه عنه، وقال له: (أنت أبو تراب)^(٢)، فتلقف أعداؤه ما مدحه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكي يذموه به.

(١) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص ٦٨، نقلًا عن مصادره.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٩٠.

وكلامه لها بعد موت أبيها عند اغتصاب فدك يشير إلى إجلاله لها؛ إذ يقول: (نهني عن وَجْدِكَ^(١) يا ابنة الصفاة، وبقية النبوة)^(٢)، ولما دفنها ذهب إلى قبر رسول الله يناجيه، ويقول له: (السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة للحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورقَّ عنها تجلدي، إلا أن التأسِّيَ لي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك، موضعُ تعزُّرٍ.. فلقد استرَّجعتُ الوديعه، وأخذتُ الرهينة، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد)^(٣).

وهكذا يصف الإمام علي عليه السلام مبلغ فقدته وحزنه وسهره على شريكة حياته، ومعينته على أداء جهاده العظيم.

ولهذا لا غرابة أن كانت السعادة العميقة والحب الغامر والمشاعر الزوجية الصادقة هي السائدة في ذلك البيت، وأعلام السعادة هي المرفقة على أنحائه، على عظيم المسؤوليات، وكبير المصاعب والمهمات، التي كان يتحملها ذلك البيت رجالا ونساء، تلك السعادة الغامرة بالمحبة الفائضة هي التي وجد بعض مظاهرها رسول الله ﷺ ذات يوم وقد دخل بيت فاطمة، فوجدهما يضحكان، لحديث كان منهما حول أيهما أحب إلى رسول الله ﷺ، كما تقدم.

(١) أي كفي. والوَجْدُ يقال: وجد عليه يَجِدُ وَجْدًا: إذا غضب عليه. يقول لها: كفي عن غضبك.

(٢) مستدرک نهج البلاغة، ص ٧٧.

(٣) الرضي، نهج البلاغة، خ ٢٠٠، ص ٣٩٥.

تعاونهما

هذا البيت الذي تزدج فيه الواجبات الشخصية والشرعية والمجتمعية والجهادية هو البيت الذي أبصار الناس - خارج حيطانه - شاخصة إليه تنتظر القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، وتنتظر التعليمات تخرج منه في مختلف المجالات، لتقتدي به وتتأسى؛ وقد قدم هذا البيت بالفعل نموذجاً رائعاً في التعاون بين الزوجين.

لا تمضي الحياة سليمة من الأذى إذا لم يكن هناك تعاون وتفاهم ونظامٌ يرتب أموراً ويصلح مَعْوَجَّها، ويقيل عثارها، وقد قدم هذان الزوجان نموذجاً رائعاً لكل زوجين سواهما، في ترتيب أمور بيتهما؛ فهذه الزهراء سيدة نساء العالمين، و بنت خير المرسلين، وزوج سيد الوصيين، وأم سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، والدة الذرية المباركة الطيبين، لم تتأفف عن العمل، وعن معالجة أكبر الأمور وأصغرِها، وأعظمها وأهونها داخل بيت زوجها.

وهاهي تلك كانت تطحن، وتستقي، وتعجن، وتخبز، وتربي الأولاد، وتغزل الملابس، وتُسعد زوجها، وتُكرم أضيافها، وتتفقد أباهها، وتُصلح أمره، وتقوم بأدوارها الجهادية والاجتماعية والتعليمية.

عن الصادق عليه السلام أنه دخل رسول الله ﷺ على فاطمة يوماً وعليها كساء من أوبر الإبل وهي تطحن بيدها، وتُرْضِع ولدها، فدمعت عيناه، لما أبصر بها، فقال: يا بنته تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ^(١).

ومع كبر عقول هذين الزوجين، وحسن تعاشرهما إلا أنه كان لا بد من الترتيب والتنظيم، وتحديد الصلاحيات والمهام بين أعضاء هذا البيت؛ كان لا بد من ذلك ليكونا نموذج التعاون لبقية الأزواج، وأمثلة الترتيب والنظام لسائر الأسر؛ ولهذا ثبت أن رسول الله ﷺ قضى على فاطمة الزهراء بخدمة البيت، وقضى على علي عليه السلام بإصلاح ما كان خارجاً والقيام به ^(٢).

كانت الزهراء تقوم بأعمال كثيرة خدمة لبيت زوجها، وفي رواية وصفت فيها الإمام عليّ عملها، فقال: (إنها جرت بالرحى حتى أثرت في يدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وكنت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرر) ^(٣)، واشتهرت الرواية التي تصف يدها بأنها مجلت من أثر الرحى والطحن.

(١) السيوطي، الدر المنثور، ج ٨، ص ٥٤٣؛ والسيوطي، مسند فاطمة عليها السلام، ص ٥٨ عن ابن النجار وابن مردويه والديلمي؛ والخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ٦٤؛ والهندي، كنز العمال، ج ١٢، ص ٤٢٢، رقم ٣٥٤٧٥.

(٢) الهادي، يمين بن الحسين، الأحكام، ج ١، ص ٤١٤؛ والعجري، المختار، ص ٣٨٧.

(٣) السيوطي، مسند فاطمة، ص ١١٠؛ عن أبي داود، والعسكري، وأبي نعيم، وعبدالله بن أحمد بن حنبل.

وكانت إلى جانب العمل تربي أولادها، وربما كانت تطحن وصبيها ييكي^(١)، ولهذا اقترح عليها زوجها علي عليه السلام أن تذهب إلى أبيها قائلاً لها: (فسليه يعطيك خادما، يقيك الرحن، وحرّ التنور)^(٢)؛ لأنه كان قد جهدها الطحن والعمل^(٣).

وفي إطار إصلاح علاقة الأم بالزوجة، وهو المشكل الذي لم ينجح فيه كثير من أزواج عصرنا، رسم الإمام علي عليه السلام معادلة متوازنة تنظم علاقة العمل بين زوجته وأمه؛ إذ قال لأمه فاطمة بنت أسد: (أكفي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان خارجا من السقي وغيره، وتكفيك ما كان داخلا من العجن والطحن وغير ذلك)^(٤).

وهذا فيه عظة لنا بأن نرسم علاقة تعاونية واضحة وطيبة بين الأم والزوجة، ونضع معادلة عادلة تحفظ للزوج برّه بأمّه ووالديه، وحسن معاشرته لزوجته، وعلى الزوجة أن تُعين زوجها على البرّ بأمه، وعلى الأم أن تساعد ابنها على حسن معاشرته لزوجته.

ومع ذلك فقد كانت هناك ظروفٌ أظهرت فاطمة في مستوى عالٍ من

(١) ابن حنبل، المسند، ج٣، ص١٥٠؛ والمهشمي، مجمع الزوائد، ج١٠، ص٣١٦؛ وابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٠، ص٣٣٢.

(٢) مسند فاطمة للسيوطي، ص١٠٣، عن أبي نعيم.

(٣) مسند فاطمة للسيوطي، ص١٠٢، عن ابن جرير.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٧؛ وابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٤.

تقدير العمل والمبادرة إليه، يقول الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام: (وقد كانت أمنا فاطمة عليها السلام تغزل لنفسها، وبالأجرة، وتطحن النفقة، وتخدم البيت، وبذلك قضى عليها رسول الله ﷺ، ولا شرف أعظم من شرفها، ولا كرم على الله يوازي كرمها) ^(١)، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

وورد تفصيل ما أجمله الإمام المنصور بالله وذلك أن عليا عليه السلام انطلق إلى يهودي يعالج الصوف، فقال له: هل لك أن تعطيني جزء من صوف، تغز لها لك بنت محمد ﷺ بثلاثة أصع من شعير؟ قال: نعم، فأعطاه الصوف والشعير، فقبلت فاطمة وأطاعت، وقامت إلى صاع فطحنته، وخبزت منه خمسة أقراص ^(٢).

وهذا يبين أنها سلام الله عليها اكتسبت مهارة رائعة وعملا شريفا تعمله داخل بيتها يدر عليها وعلى أسرتهما دخلا يحفظ كرامتهم، ويعالج بعض مشكلاتهم الاقتصادية، وهذا ما يجب أن تستنه فاطمة اليوم في حياتها.

ومع ذلك فإن التاريخ لا يتركنا نشاهد فاطمة تقاسي التعب لوحدها، رغم أننا نعلم أن زوجها البطل الهام هو ذلك الذي كانت تُسرِع به رجلاه

(١) المنصور بالله عبدالله بن حمزة، مجموع رسائل المنصور بالله عبدالله بن حمزة (القسم الثاني)، ج ٢، ص ٥٧٨، وصية البنات.

(٢) الكوفي، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ج ١، ص ١٧٨، رقم ١٠٣؛ والثعلبي، تفسير الثعلبي، سورة هل أتى.

نحو المعارك، ومصاولة الأقران، وتثبتت في مواقف الخشوع والعبادة وحلقات العلم، وهو ذلك الذي كان مع رسول الله كظله، يكتسب منه المعارف والعلوم.

بل تخبرنا بعض الروايات أنه مع تلك المشاغل ومع ما أخذ على نفسه من التكفل بشؤون البيت من خارجه، إلا أنه لم يتركها تقاسي التعب بمفردها داخل البيت في الأوقات التي يمكنه فيها إعادتها، بل نخبرنا أنه كان يطحن معها الشعير، وكانت يدها تتأثر بمثل ما تتأثر به يداها، وهو يدير معها الرحى^(١)، وهذا درس عظيم لنا معشر الرجال كيف نكون مع زوجاتنا عملا وتعاوناً وتواضعاً وشغفا بالعمل داخل البيوت.

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنيينية، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

خادمة البيت سيدة فيه

إن هذا البيت هو الذي منعه رسول الله من خادمٍ في أول الإسلام؛ إذ كانت لا زالت حاجة المسلمين ماسة إلى الخادم والخادمين، غير أنه في آخر الأمر لما أصاب رسول الله سبباً في إحدى الغزوات تخيّر منه رسول الله امرأة نوبية تسمى فضة، فذهب بها إلى فاطمة، وأوصاها بها خيراً، وأن لا تضر بها، ولما رأت بضعة الرسول والدها يُكثِر الوصية بها، التفتت إليه، وقالت: يا رسول الله عليّ يوم، وعليها يوم، ففاضت عيناً رسول الله بالبكاء، وقال: (الله أعلم حيث يجعل رسالته، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)^(١).

وهكذا أخلاق أبناء النبيين، وسادات العالمين، يشاطرون خدَمهم وعبيدهم في الخدمة؛ ذلك أنهم يعلمون أن هؤلاء أناسٌ مثلهم، وإذا كان الله قد ابتلاهم بالرق لظروفٍ غير عادية، فإن من حقهم أن يعيشوا في بيوت المسلمين كما يعيش السادة عملاً، وملبساً، ومأكلاً، ومشرباً، ولهذا قدّم أهل البيت نموذجاً رائعاً للتعامل الإنساني الراقى، وفي الإصابة أن رسول الله أخدم فاطمة جارية اسمها فضة النوبية، فكانت تشاطرها الخدمة، فقالت لها فاطمة: أتعجنين، أو تخبزين؟ فقالت: بل أعجن يا سيدتي، وأحتطب (...)^(٢).

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٦٩.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٧٥، ترجمة رقم ١١٦٢٨.

وبهذا يتبين أن هذا البيت كان منظماً ونظيفاً يؤدي أهله وظائفهم وأعمالهم فيه بانتظام، وكلُّ يسعى في سبيل تحصيل السعادة، والقيام بالواجب، في ظلِّ مهامَّ محدَّدة، وواجباتٍ منتظمة، فإذا جاء علي عليه السلام إلى البيت وجده نظيفاً أنيقاً، حيث بنت المصطفى فيه لا تعرف الكسل، وتحرص على النظام، وعلى إشاعة جوِّ أنيق وكريم.

أناقة .. وبساطة

وتشدني عجباً تلك الرواية التي تفيد أنه عليها السلام وهو عائداً من اليمن، ولما وصل مكة، وجد فاطمة قد أحلّت من الحج، وما إن دخل البيت المؤقت في مكة، حتى وجد منها ريحاً طيبة^(١)، ووجد الزهراء قد لبست ثياباً صبيغاً، وقد اكتحلت^(٢)؛ الأمر الذي دفعه للذهاب للاستفتاء إلى رسول الله، والمهم في الرواية أنها تفيد ما كانت عليه فاطمة من أناقة ونظافة واعتناء بطبيعتها وملبسها المتواضع في سفرها، فكيف بها في حلها نظافة وأناقة وجمالاً؟!.

إن ذلك يشير إلى حرص فاطمة الزهراء على إشاعة جو الأناقة والنظافة والسعادة، حتى في أوقات السفر، فلهذا لا غرابة أن حفت السعادة والبهجة بهذا البيت الطاهر من كل اتجاه.

(١) أحمد بن عيسى، علوم آل محمد، ج ١، ص ٣٧٠.

(٢) ابن أبي النجم الصعدي، درر الأحاديث النبوية، ص ٨٤.

زوجة المجاهد مجاهدة

إن ما يجب أن تعيه (فاطمة اليوم) و(علي اليوم) أنه باتباع التعاليم الإلهية، والافتداء بنموذج أهل البيت فكراً وتعاملاً وأخلاقاً وقيماً وتربية يمكنهما تكوين الأسرة التي يتخرَّج منها الأولاد الصالحون الذين يعون واقعهم وواجباتهم، ومسؤولياتهم، ويقدِّرون الجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إنهم بذلك يستطيعون أن يوجِّدوا جسورَ المودة الوطنية، بتأييد الله وتوفيقه، فلا يستطيع الشيطان أن يهدمها، بل لا يملك كيده إلا أن ينهارَ أمامها.

حينما يكون الإسلامُ فكرةً وقيماً ووجداناً وسلوكاً هو المسيرُ لشؤون البيت، وحينما تكون الواجبات والمسؤوليات واضحة، وكلُّ يسعى في مسؤولياته في علاقة متوازنة، وتسود روح التعاون، وكلُّ يريد أن يتقرب إلى الله بخدمة الآخر، فإن النتيجة هي السعادة والبهجة والسرور، ولن يكون أبداً بين مفردات تلك العائلة وذلك البيت كلمة نافرة، ولا موقفٌ شاذٌّ، ولا حالةٌ نادرة، ولن يصل الأمر بهم البتة إلى أبغض الحلال إلى الله، وهو الطلاق.

مخطئة تلك المرأة التي تظن أنه لا يستقيم لها جهادٌ إلا إذا هربت من واقع حياة الزوجية، وتنصَّلت عن شريف المسؤولية في هذا الاتجاه، واعتبرت واجباتها الزوجية عائقاً لها عن القيام بالجهاد؛ لأن نموذج فاطمة عليها السلام الجهادي

وواقع حياتها الزوجية أكبر دليل على خطأ ذلك المسلك وضحالة ذلك الفهم. لقد كانت فاطمة بنت النبي المجاهد، وزوجة الوصي القائد المجاهد، وأمّ أولادٍ صاروا أئمة المجاهدين وسادة الشهداء، وكانت تتحرّك على ذلك النحو وترسم تلك العلاقة المتوازنة بين الجهاد والعمل المنزلي، وكانت تتصل بالله من خلال هذه القيم والسلوكات؛ ومتى فرّق المؤمنون والمؤمنات بين أعمال البيت والأعمال الجهادية، وكلها مما يقرب إلى الله، ويبتغى بها وجه الله عز وجل؛ وليس هناك أسرة مؤمنة إلا وهي مقدّسة للعمل، مباركة للاستقامة، مُسرّعة إلى طاعة الله.

لا يمكن أن يكون علي عليه السلام بتلك الجلالة التي ظهر عليها مجاهدا عظيما، وفارسا شجاعا، واثقا بقدراته القتالية، ووجدانه المعنوي الروحي العالي والمندفع مع الله بلا حدود، إذا لم يكن له من السيدة فاطمة تلك الروحية المساندة، والإعانة المستمرة، والتهيئة المتجدّدة؛ لأن زوجة المجاهد والمضحى المُخلص لا ينبغي لها أن تكون إلا منسجمة معه، ومواكبة لذلك القدر من الاستعداد والتضحية والفداء والشجاعة لديه.

أما فاطمة فكما كانت مع أبيها في سوح الجهاد فكذلك كانت مع زوجها المجاهد، ولا شك أن شجاعة زوجها وبطولاته في معركة بدر التي كانت أول معركة أظهرت بطولاته المدهشة، ومقوماته الجهادية الفائقة، ولا شك أن تلك المعركة قد تركت أثرا محمودا في قلب هذه

السيدة تجاه علي الذي أصبح بعدها زوجها لها، وهو الزوج الذي ذكّر لها أبوها بأهمّ مقوماته ليلة زفافها من أنه: "أسبقهم إلى الإسلام، وأكثرهم معرفة بالله تعالى، وأحسنهم خلقاً أو أعظمهم حليماً"، مثل هذه الصفات العظيمة عندما تجتمع في شخصٍ واحد فإنه بلا شك سيكون مصدرَ اعتزازٍ أيّ زوجة في الدنيا فما بالكم بسيدة النساء؟!.

لنتصور الزهراء وقد عاد فارسُها الشجاع المتفاني في ذات الله وقد سبقت أخبارُ انتصاراته وبطولاته إلى مسامعها، كيف ستحمد الله أن رزقها الله مثل هذا الزوج، ولنتصورها وهو ذاهب إلى المعركة وآئب منها، وهي تعلم أنه اليد اليمنى لوالدها الرسول القائد عليه السلام، والبطل الأول في الإسلام، كم عساها ستنتقل إلى تجهيز وإعداد أدواته الجهادية وعدته وعتاده.

وما أجمل تقييمها لأداء زوجها الجهادي في أيام والدها، وهي تعدّ مؤهلاته العظيمة التي استحقّ بها أن يكون ولي أمر المسلمين، ما أجمل ذلك التقييم وهو يكتنز وعياً عميقاً بدور ومسؤولية زوجها في الجهاد، قالت في خطبتها تلك: (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه (تعني زوجها) في لهواتها، فما ينكفى حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهيبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمّرا ناصحا، مُجِدّاً كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم

في رفاهيةٍ من العيش .. تتوَكَّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال،
وتفرون من القتال ..^(١).

إنها بهذا النص تعتبرُ جهادَ زوجها وقاتله جُلَّ الجهادِ ومُعظَّمه، وهي
تذكرُ بالأثرِ القائل: (قام الإسلام على سيف علي، ومال خديجة)، وعلي
هو زوجها، وخديجة هي أمها صلوات الله عليهم جميعا.

لقد رأت سلامُ الله عليها الطلقاءَ وقد كثرَ عديدهم في المدينة، وهم
أولئك الذين لا يزالون يحمِلون في جوانحهم حِقدا قديما، تحمَّلوه في
قلوبهم، يومَ جنحوا عن المواجهة الصريحة للإسلام إلى المواجهة الخفية من
الداخل، ولهذا رأت أن هذا التيار داخل مجتمع المدينة، قد بات يشكُّل
المرجِّح الكبيرَ لخلافات الصحابة، ولهذا قدَّمت تفسيراً جيداً لإبعاد
زوجها المجاهد علي عليه السلام عن ولاية أمر الأمة، فقالت: (وما نقموا من
أبي حسن؟ نقموا والله نكير سيفه، ونكال وقعه، وشدة وطأته، وتنمره في
ذات الله)^(٢).

لقد عاشت الزهراء ذلك الجهاد روحا وجسدا، ولهذا تدرك قيمة
التضحيات وصعوبة المواقف السلبية المغايرة لها، والمخالفة لمقتضياتها،
روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ في يوم أحد كَسِرَتْ رِباعيته،

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢٥٠؛ والشرفي، اللآلئ المضيئة، خ-.

(٢) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص ٢٦٩.

وهشمت بيضته على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تغسل الدَّم، ولما لم يستمسك الدَّم استطاعت أن تجد طريقة لإيقافه^(١).

ولما وصلت فاطمة إلى أحد كان أبوها رسول الله قد ناو لها سيفه، وقال لها: (اغسلي عن هذا دمّه يا بنية)، وناو لها علي عليه السلام، وقال:

أفأطمُ هَاك السيفَ غيرَ ذمِيمٍ فلستُ برعديدٍ ولا بلئِيمٍ
أفأطمُ قد أبليتُ في نصرِ أحمدٍ ومرضاً تورّب بالعبادِ رحيمٍ
أميطي دمَاء القومِ عنه فإنه سقى آلَ عبدالدار كأسَ حميمٍ^(٢)

ولما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى، واستأثر بعض الصحابة بولاية أمر الأمة دون أهل البيت عليهم السلام، أطلقت الزهراء صيحات جهادية سلمية، علّمت المسلمين كيف يثورون على حكام الأمر الواقع، وكيف ينحازون إلى الحق، حتى أمام كبار القوم؛ إذ ليس بين فاطمة وبين من يتجاوز الحق من الخلق أية هوادة.

أعلنت من خلال خطبها أمام المسلمين وأمام نساء المهاجرين ثورة فكرية لخصت المشروع الإسلامي الذي جاء به أبوها، وكأنها تريد التذكير به لما اتخذوا مواقف مناهضة له وتتناقض معه في موضوع ولاية الأمر،

(١) البخاري، الصحيح، ج ٥، ص ٢٢٦، رقم ١١٣، كتاب المغازي؛ ومسلم، الصحيح، ج ٣، ص ١٤١٦، ١٠١، كتاب الجهاد.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٢٤٩.

وشارت ثائرتها ضد انحراف السقيفة، وانتقدتها نقدا قويا ولاذعا وصارما،
واستمرت في موقفها المتشدد من السلطة الجديدة حتى جاءها الموت.
وهكذا فلتكن النساء المجاهدات مواقف وسلوكا ووجدانا في
مواقف الحق، لا يَخْفَنُ في الله لومة لائم.

أم الحسين

تلك كانت الزهراء أم أبيها، وزوجة بطل الإسلام الأول، فماذا عنها وهي أم علمي الهدى، وسيدي شباب أهل الجنة، ومنطلق امتداد رسول الله وولديه؟

إن للحسن والحسين خصوصية شرعية لم تكن لغيرهما؛ حيث القرآن سماهما أبناء للرسول في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، وتُجمع روايات الشيعة والسنة أن رسول الله لم يُخرج إلا الحسن والحسين، وأباهما، وأُمَّهما، ليباهل بهم نصارى نجران.

وأما قوله ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، فلا تتعارض مع هذه الآية؛ إذ قال الله تعالى (من رجالكم)، ولم يقل (من رجاله) أو (من أهل بيته)، ثم إن الآية نزلت في قصة زيد بن حارثة، وكان الحسنان حينها صبيين صغيرين، لا يمكن إطلاق كلمة رجل على أي منهما.

تسميتهما

وُلِدَ الْحَسَنُ عليه السلام سنة ثلاث من الهجرة في شهر رمضان ^(١)، ووُلِدَ الحسين عليه السلام في شعبان سنة ٤ هـ ^(٢).

ترجم روايات أن أمير المؤمنين عليه السلام بسبب اهتماماته الحربية أراد أن يسمى كليهما (حربا)، وتنص بعضُها أنه لم يشأ أن يسبق رسول الله في تسميتهما، بل كان يهم مجردهم ^(٣) غير أن تكرر هذه الإرادة عند ولادة الحسين بأن يسميه حربا أيضا كما في بعض الروايات ^(٤) لا تسعُه فطنة علي، ولا ينسجم وقوة انسياقه مع الإرادة المحمدية والاصطفاء الإلهي.

ومع ذلك فهناك روايات تذكر بأن أمير المؤمنين عليه السلام، كان قد سمي الحسن حمزة ^(٥) باسم عمه الشهيد حمزة، والذي لم يمض على استشهاده سوى بضعة أشهر، كما تذكر روايات أنه أيضا سمي الحسين عند ولادته باسم جعفر ^(٦).

-
- (١) المرشد بالله، الأمالي الإثنيينية، ص ٥٠١؛ وابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ٣٨٣-٣٨٤.
(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنيينية، ص ٥٠١، ٥٠٣؛ وابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ٣٩٢-٣٩٣.
(٣) الرضا، الصحيفة، ص ٤٦٦؛ والعجري، المختار، ص ٥٥٥.
(٤) المرشد بالله، الأمالي الإثنيينية، ص ٥١١.
(٥) المرشد بالله، الأمالي الإثنيينية، ص ٥١٠.
(٦) المصدر السابق.

ويترجَّحُ صِدْقُ تلك الرواية التي تُثبِتُ أنه عليه السلام أرادَ تسمية الحسن باسم عمه حمزة، حيث أراد التذكير بعمِّه حمزة، والتنويه بجهاده واستشهاده، وتضحيته، خَلْقًا للقدوة الحسنة، وإحياءً لجميل الأسوة، مع ترجيحي أن ذلك كان مجردَ استحسانٍ وإرادةٍ فقط، وليس اتخاذَ قرارٍ، وأستبعدُ جدا أنه كان قد قرَّرَ قرارا نهائيا تسميتها حربا، أو حمزة؛ لأن الإمام عليا عليه السلام كان أوعى وأحفظَ لحق رسول الله في ولديه وفي تسميتهما، وهو يعلمُ أنهما ابنا رسول الله عليه وآله، وما أجهل تلك الرواية التي أجاب فيها الإمام علي عليه السلام حين سأله رسول الله عليه وآله: (بأي شيء سَمَّيتَ ابنَكَ هذا؟)، فأجاب: (ما كنتُ لأسبِقَكَ باسمه يا رسول الله)، فهذا هو منطقُ التقدير والاحترام من علي عليه السلام لرسول الله عليه وآله، وهو منطقُ أن هذين الولدين هما ولدا رسول الله عليه وآله في الحقيقة.

وربما بالفعل كان علي عليه السلام يهيم بأن يسمي الحسن بـ(حمزة)، وربما تصحَّفت الرواية لاحقا لتصير (حربا)، ولكن ما يترجَّح لي أيضا هو أن تسمية الحسن والحسين كانت تسمية نزل بها جبريل عليه السلام عن إرادة المولى تبارك وتعالى.

وسواءً صحَّت رواية أنه كان يهيم بتسمية الحسن بـ(حمزة)، أو رواية أنه كان يهيم بتسميته بـ(حرب)، فإن كليهما يشير على أية حال إلى إخلاص أمير المؤمنين عليه السلام لبطولته وشجاعته وجهاده العظيم؛ فهو القائد العسكري الأول في الإسلام بعد رسول الله؛ ولهذا همَّ أن يسمي ابنه باسم يتفاعل مع مقتضيات تلك الحال، أو لأنه كان يهتم بالشهداء الذين علت أرواحهم في طريق الحرية

وأعظمهم عمه حمزة؛ لذا أراد أن يسميه (حمزة).

وهناك روايات كثيرة تبين أن رسول الله ﷺ انتظر أمر الله في تسمية الحسن، فأتاه جبريل، فقال: يا محمد، الجبار يقرئك السلام، ويقول لك: سمّه باسم ابن هارون، فقال ﷺ: وما اسمُ ولدِ هارون؟، فقال: شَبْرٌ، قال ﷺ: لساني عربي، قال: سمّه الحسن، ولما وُلد الحسين تكرر الأمر، إلى أن قال له: سمّه شَبِير، فقال: لساني عربي، قال: سمه الحسين^(١).

إن هذه الرواية تعمق علاقة علي عليه السلام الهارونية من موسوية النبي محمد ﷺ في ذريته الطاهرة، إنها تؤكد منزلته من رسول الله التي هي منزلة هارون من موسى إلا في النبوة، والذي ورد في حديث المنزلة المتواتر بين الأمة جميعاً، (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا بنى بعدي)، فكان هارونية علي عليه السلام في علاقته برسول الله ﷺ متعمقة وممتدة من خلال ذريته الذين هم ذرية رسول الله ﷺ، تثبيتاً للحجة على هذه الأمة، وتأكيداً عليها.

(١) الرضا، الصحيفة، ص ٤٦٦؛ والعجري، المختار، ص ٥٥٥-٥٥٦.

آداب النفاس

في حديث ولادة الحسين وما صاحبها من آدابٍ وتشريعاتٍ ما ينبغي اتخاذه نموذجا وطريقة وسنة إذا أردنا صلاح الأولاد، وصلاح دينهم، ونيل بركة الاتباع والافتداء بسنة رسول الله ﷺ.

تُظهِر الروايات اهتمام رسول الله ﷺ بولادة الحسين اهتماما بالغاً؛ ففي الروايات ما يمكن الأخذ بأنه ﷺ كلف عددا من النسوة وهن سلمى بنت عميس^(١)، وعائشة أن يقبلن فاطمة في نفاسها بالحسن عليه السلام، وأمر أن لا يسبقنه بشيء بعد ذلك، وأن يلفن الوليد في خرقة بيضاء، وأن يقرأن بعد وضع الحمل فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وقل هو الله أحد، والمعوذتين^(٢)، فسررن الحسن، ولفننه في خرقة

(١) كثيرة تلك الروايات التي تسند إلى أسماء بنت عميس أعمالا ومواقف لها علاقة بالزهراء، سواء في عرسها، أو زفافها، أو ولادة الحسن، أو الحسين، ولأن أسماء كانت في تلك الفترة في الحبشة مع زوجها جعفر الطيار بن أبي طالب، حتى السنة السابعة من الهجرة؛ فالذي يترجح هو أنها إما أن تكون قد عادت قبل عود زوجها، وعاشت تلك الأحداث المروية عنها، أو أن من عايش تلك الأحداث في الحقيقة هي أختها سلمى بنت عميس زوجة حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، ولكن لما طغت شهرة أسماء بنت عميس على أختها اختلط الأمر على الرواة الأوائل، فجاء من بعدهم فكتبوا ما سمعوه.

(٢) صحيفة الإمام الرضا، ص ٤٦٦؛ والمرشد بالله، الأمالي الإثنيينية، ص ٥٠٩؛ والعجري، المختار، ص ٥٥٥.

صفراء، ولما جاء رسول الله ليراه وبَّخَهن، وأمر أن يُلَفَّ في خرقَةٍ بيضاء، وحنَّكه، وقال: اللهم أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم^(١)، والمشهور جدا أنه أُذِّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى^(٢)، وهو أمرٌ نصَّت على استحبابه كتبُ الفقه الإسلامي كأدبٍ من آداب الولادة.

(١) المصادر السابقة.

(٢) المصادر السابقة.

العقيقة ووقت التسمية

في اليوم السابع سماه رسول الله الحسن، وكذلك فعل في الحسين أخيه، وعق عن كل منها بكبشين أملحين، فأعطى القابلة فخذ كبشٍ، وحلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقاً (فضة)، وطلّى رأسه بالخلوق (الطيب)، ثم قال: يا أساء، الدم فعل الجاهلية^(١). وفعل مع الحسين كما فعل مع أخيه^(٢).

إن وليمة العقيقة التي ينبغي أن يُدعى إليها الأقارب، والفقراء والمساكين من السنن التي تكاد أن تكون مهجورة، ولا سيما في حق المولودة الأنثى؛ وهو الأمر الذي ينبغي الالتفات إليه وإحيائه.

ولما جاءت الزهراء بالحسن ثم بالحسين إلى رسول الله وطلبت منه أن يُنجلها، فقال عن الحسن: (نَحَلُّهُ المَهَابَةَ والحِيَاءَ، وَنَحَلُّتُ حَسِينَا الشَّجَاعَةَ والجُودَ، وهما سيدا شباب أهل الجنة، من أحبها فحبي أحبها، ومن أبغضها أو بغى عليها فببغضي أبغضها)^(٣).

(١) ينظر العجري، المختار، ص ٥٥٥ - ٥٥٦، نقلا عن صحيفة الإمام الرضا، وكان من عادة الجاهليين أن يطلوا رأس المولود بالدم.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ٣٩٢ - ٣٨٣.

(٣) المرشد بالله، الأمالي الإثنيينية، ص ٥٠٩.

إنه لمن المهم تهيئة الأجواء الصحية والبيئة الإيمانية للأولاد ليتربوا في ظلال حياة روحية مساعدة على القرب من الله وطاعته، والبعد عن الشيطان واتباعه، وحتى لا يكون له فيهم أيُّ حظٍّ ولا نصيبٍ؛ ولهذا كان عليه السلام يعوِّذ الحسن والحسين عليهما السلام، ويقول: (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة)، ويقول: (إن إبراهيم عليه السلام كان يعوِّذُهما إسماعيلَ وإسحاقَ عليهما السلام)^(١)، فهل تعوِّذون أولادكم أيها المحبون والمحبات لفاطمة؟

(١) العجري، المختار، ص ٦٧٦، نقلا عن تفسير البرهان، للإمام الناصر أبي الفتح الديلمي؛ وأبو طالب، تيسير المطالب، ص ١٤٨؛ والمرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص ٥١١.

تربية أولادها

في صغر هؤلاء الأولاد يشير التاريخ إلى أن فاطمة كانت تهتم بهم، ففي مسند أحمد أنها كانت تنقز^(١) الحسن بن علي عليهما السلام، وتقول:
 بأبي شبيه النبي لست شبيهها بعلي^(٢)
 وفي رواية: أنها كانت تزفّن للحسن، أي ترقّصه، وأصل الزفن اللعب والدفع^(٣).

ولعل هذا الأسلوب اشتهر وذاع بين الصحابة إلى درجة أن أبابكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بليل، وعلي يمشي إلى جنبه مرّاً بحسن بن علي عليهما السلام، وعمره في الثامنة تقريبا، وهو يلعبُ مع غلمانٍ فاحتمله على رقبتة، وهو يقول:
 وابأبي شبيه النبي ليس شبيهها بعلي^(٤)

ولا يُستبعد ذلك من أبي بكر، فهو من جهةٍ يشير إلى اشتهار ترقيص فاطمة وأحد أنشطة أسلوبها التربوي الرائد في المدينة، وكان المدينة كانت أذنا واعية لتسجيل أقوال وأفعال فاطمة وأساليبها، ومن جهةٍ أخرى،

(١) النقر: هو الوثب صعودا، والتنقيز: هو التوثيب صعودا.

(٢) ابن حنبل، المسند، ج٦، ص ٢٨٣.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص ٢٣٣.

(٤) ابن حنبل، المسند، ج١، ص ١٧١، رقم ٤٠.

فإن أبا بكر كان يعتزم تلطيف الجو المتوتر بينه وبين بيت علي عليه السلام، لا سيما وأنه للتو متورط في قضية ولاية الإمام علي عليه السلام، وربما أراد أيضا التمهيد بمثل هذا التحرك المؤذي لفاطمة في فداك.

وفي رواية أنها كانت ترقص الحسن عليه السلام، وتقول له:

أشبهه أباك يا حسن واخلع عن الحق الرّسن
واعبد للمأذامنن ولا تُوالِ ذا الإحن^(١)

وهي كلمات توحى بأنها سلام الله عليها كانت تهدف إلى زرع الاقتداء في قلب ولدها بأبيه الوصي، وتبني فيه قيمة اتباع الحق، وعظمة الخالق المعبود ذا المنن، وإعمال مبدأ البراءة من أهل البغضاء.

لقد أنشأت فاطمة بطريقتها التربوية أعلى مدرسة مثالية تخرّج منها الحسنان وزينب عليهما السلام، وكانت تحرص على اصطحاب أولادها إلى محراب عبادتها، وتعلّمهم أنواع التبتّل والتهجّد، حيث يروي الحسن عليه السلام أن والدته أجلسته إلى جانب سجادتها، وهي تتضرع إلى الله وتدعوه.

وذكرت الروايات أن الزهراء كانت تعلّم ولديها خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وهما لما يبلغا الخامسة، وكانت تطلب منها إعادة ما سمعاه من خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله مسامعها، ثم يعيدانه بحضور أبيهما.

(١) العامل، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٦٣ .

وأخذت زينب عليها السلام إلى مسجد رسول الله عندما أُلقت خطبتها العصاء هناك^(١).

إن اهتمام فاطمة بولديها هو ترجمة لاهتمام رسول الله بهما؛ إذ هما وصيتهما العظمى، وهما منبع نهر كوثره عليه السلام، الذي سيمتد إلى آخر الدنيا، ليخرج من ذريتهم مَنْ يَحْمِلُ الهدى، ويُجاهد الطغاة، وينصُرُ المستضعفين، ويعيدُ إلى الإسلام قرآنيته، وروحِيته.

في بعض أيام صفين رأى الإمام علي ولده الحسن يتسرع إلى خوض غمار الحرب، فقال: (املكوا عني هذا الغلام، لا يهدني، فإنني أنفسُ (أضنُّ وأبخلُ) بهذين (يعني الحسن والحسين) على الموت؛ لثلاثين قطع بهما نسل رسول الله عليه السلام)^(٢).

وكان المولود الثالث زينب العقيلة عليها السلام بطلة كربلاء، وكان مولدها في السنة الخامسة من الهجرة، وروت عن أمها، وتزوجت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعقبها منه^(٣)، قال السيد مجد الدين المؤيدي: "ولها كلام ليزيد، وعبيد الله بن زياد، يدل على بلاغة، وعلم وعقل، ورباطة جأش، وقوة جنان؛ ولا غرو فالثمرة من الشجرة"^(٤).

(١) محمد تقي المدرسي، فاطمة قدوة الصديقين،

(٢) الرضي، نهج البلاغة، ج ٢٠٥، ص ٣٩٩.

(٣) أبو طالب، الإفادة، ص ٢٣، ٢٤.

(٤) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٢٠١.

ثم ابنتها الثانية وهي السيدة أم كلثوم سلام الله عليها، وقد ولدت بعد أختها بعام واحد وقيل: بعامين، "تزوجها عمر، وفي قصة العقد أخبارٌ متضاربة؛ أما التزويج فقد وقع بلا ريب، وقد كان اعتذر أمير المؤمنين عليه السلام بصغرها وكبره، ثم رضي بعد ذلك قطعاً؛ وإن القول بعدم رضاه فيه من الغضاظة وانتهاك الحرمة، ونقص الدين والمروءة، أعظم وأطم من عدم الكفاءة المدّعاة"^(١)، وقد توفيت هي وولدها زيد بن عمر في وقت واحد^(٢).

وأما ابنتها الأخير فهو المحسن، وذكر الإمام أبو طالب أنه درج صغيراً^(٣).

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٢٢٠.

(٢) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٢٢٠.

(٣) الإفادة، ص ٢٢.

دورها الاجتماعي

لقد سجل القرآن الكريم صورة ناصعة لنموذج واحد من أدوار فاطمة وأهل بيتها الاجتماعية، وهو يشير إلى جزءٍ من مهام هذه الزوجة العظيمة، والأم الكريمة، وثقت ذلك سورة كاملة من القرآن الكريم، وهي سورة الإنسان، واللافت أن تحمل هذه السورة اسم الإنسان، الذي كان فضلا وكرما وإحسانا متشخصا في فاطمة وزوجها وأبنائها، وقد مر عليهم مستطعم الإنسان الآخر الذي كان مرة مسكينا، وكان ثانيا يتيما، وكان الثالثة أسيرا؛ ولأن المستطعم إنسان مهها كان موقفه، حتى لو كان أسيرا محاربا، فيجب أن يكون المطعم إنسانا أيضا، وهذه القيمة الإنسانية العظيمة، هي القيمة التي تحتاجها الأمة اليوم بعد أن عث الفكر الوهابي الداعشي بكثير منها، بل وعكسها أتباع هذا الفكر في هذا الزمان بشكل مشوّه ومنفّر من الإسلام ومخالف لما كان عليه رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم.

إن هذا العدوان السعودي الأمريكي الإماراتي على اليمن بشقه التنفيذي المتمثل في المدعين للإسلام - مظهر من مظاهر افتقاد هؤلاء المعتدين لشيء من هذه القيمة الإنسانية الرائعة، وما يعملونه بأسرى الجيش واللجان الشعبية للدليل قاطع على بعدهم عن تعاليم الله وسنن الصالحين من أهل البيت، وعلى

رأس الجميع فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

تَبَّتْ الزهراء عناوين أخرى في أدوارها الاجتماعية، فلا بد أنها كانت تعلم النساء ما يُشكّل عليهنّ من الأحكام الشرعية والمعارف الإلهية الضرورية، إذ ورد في شرح ابن أبي الحديد أنه كان يغشاها نساء المدينة وجيران بيتها^(١)، ويبدو أن بيتها كان مدرسة تقبل عليها النساء طالباتٍ للعلم، فيجدن فاطمة العاملة وهي تستقبلهنّ بصدورٍ رحبٍ لا يعرف الملالة ولا السأم^(٢).

ولم تقتصر في تعليمها على النساء، بل كانت عليها السلام تطرّف القاصدين إليها بما عندها من العلم والمعرفة، فعن ابن مسعود، قال: جاء رجل إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترك رسول الله ﷺ عندك شيئاً تطرّفينيه، فقالت: "يا جارية، هاتي تلك الحريرة"، فطلبتها فلم تجدها، وبعد البحث عنها وجدتها فإذا فيها: "قال محمد النبي ﷺ: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت. إن الله يحبّ الخيّر الحليم المتعفف، ويبغض الفاحش الضنين السئال الملحف. إن الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، وإن

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ١٩٣.

(٢) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص ٧٦.

الفحش من البذاء، والبذاء في النار"^(١).

ولم تنس الزهراء عليها السلام دورها الاجتماعي حتى في عبادتها، فقد كانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات، ولا تدعو لنفسها، متحلية بالخلق النبوي والأدب الإسلامي الرفيع.

عن الإمام الحسن عليه السلام قال: "رأيت أُمِّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راکعة ساجدة حتى انضح عمود الصبح، وسمعتُها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أُمَّاه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني، الجارثم الدار"^(٢).

(١) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص ٧٧، نقلا عن مصادر، منها: المعجم الكبير، ودلائل الإمامة، وقطعة من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في البخاري، ومسلم، ومصابيح السنة للبعوي.

(٢) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص ٨١-٨٢، نقلا عن الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ودلائل الإمامة.

دورها السياسي

كان للزهراء عليها السلام دور رائد في الدفاع عن قضايا الإسلام الكبرى، وتحركٌ جادٌ في مواجهة أول انحراف في الإسلام، وهو في الحكم، حيث صرخت بقوة ملفتة في وجه السلطة الجديدة، التي انحرفت بمسار الحكم عن اختاره الله، وعن أعلن ولايته رسول الله في أكثر من موقف، ولا سيما في حادثة الغدير الشهيرة، وفي هذا خطبت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة قوية وبلغية، أعادت فيها التذكير بمشروع الإسلام، وتشريعاته، وطبيعة رسالة والدها، وولاية زوجها، وما كان عليه أصحاب رسول الله، ثم ما أصبحوا فيه، وتوحي فقرات الخطبة وشدة لهجتها أنها اعتبرت ذلك خطرا كبيرا يهدد الإسلام.

ولم تكتف بذلك بل كانت تدور في بيوت الأنصار تحرضهم على الثورة في نصره الحق واتخاذ الموقف الصحيح، وكانت تعيب عليهم سكونهم ورضوخهم لسلطة الأمر الواقع، وما فتئت تحذر الجميع من مغبة السكوت عن هذا الانحراف.

فدك نحلتهما من أبيها

سارعت السلطة الجديدة إلى توجيه ضربة سياسية واقتصادية لأهل البيت عليهم السلام لما أرسلت جنودها للاستيلاء على فدك وهي القرية التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أنحلها لابنته فاطمة عليها السلام؛ الأمر الذي استدعى فاطمة أن تذهب إلى هذه السلطة للمطالبة بإطلاق حقها في فدك، وكادت أن تُلينَ موقفَ أبي بكر الذي كتب لها وثيقة استرجاع لنحلتهما لولا أن عمر رفض ذلك ومزق الوثيقة.

ولم تكدّ تمر تلك القضية حتى وجّهت تلك السلطة ضربة أخرى، وهي الاستيلاء على أموال الرسول صلى الله عليه وآله في المدينة وخيبر؛ وكانت تلك الخطوات ذات مرامٍ وأغراضٍ سياسية أكثر منها اقتصادية، تخدم الفكرة الرئيسة، وهي تقمصهم ولاية الأمر الموكولة إلى علي عليه السلام، لكنها كانت مغیظة لقلب فاطمة، وملأت قلبها غضبا؛ الأمر الذي دفعها لمقاطعهم والتشنيع عليهم في مجالسها وخطبها، قال البخاري: فهجرت فاطمة أبا بكر فلم تكلمه، حتى توفيت، ولأجل ذلك دفنها زوجها عليّ ليلا، ولم يؤذّن بها أبا بكر بحسب رغبتها^(١).

(١) البخاري، الصحيح، رقم ٢٩٢٦، ١٩٩٨، ٢٩٩٦، ٣٥٠٨، ٣٩٩٨؛ والعجري، المختار

ويرى أهل البيت أن أبا بكر أخطأ في ذلك^(١)، وما أجمل كلام الإمام علي عليه السلام إذ قال: (بلى كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمته السماء، فسحّت عليها نفوس قوم، وسحّت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله)^(٢).

ص ٢٠٠.

(١) العجري، المختار، ص ٢٥٢، نقلا عن الجامع الكافي.

(٢) الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم ٢٨٤.

وفاتها وقبرها

بعد أن اتخذت تلك المواقف القوية ضد السلطة الجديدة، هاجمها المرض، وأن أن يتحقق ما أخبرها به رسول الله ﷺ، من أنها أول اللاحقين به، وكانت قد عافت الدنيا أولاً لموت أبيها، ثم لحصول الانحرافات الخطيرة في حق الإسلام، ولهذا اشتدت بها العلة، ولحقت برسول الله بعد ستة أشهر، وعن الباقر: قال أربعة أشهر، وقيل أقل من ذلك، أو أكثر^(١).

في مرضها كانت قد توصلت مع أسماء بنت عميس إلى ابتداع فكرة النعش، ولما جهّز لها ابتسمت، فكانت أول من صنّع لها نعش في الإسلام، وأوصت أسماء إذا ماتت أن تغسلها مع علي عليه السلام^(٢)، كما أوصت أن تُدفن سرا، ولا يؤذّن بها أبوبكر وعمر^(٣)، وبعد أن صلى عليها الإمام علي عليه السلام وخاصة، وكبر خمس تكبيرات، دفنها ليلاً^(٤).

دُفنت سلام الله عليها بالبقيع ليلاً، بوصية منها، ورش قبرها وقبور

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٣١ - ٣٢.

(٢) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٣٢؛ والعجري، إعلام الأعلام، ص ٣٥١؛ وابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٧.

(٣) البخاري، الصحيح، رقم ٢٩٢٦، ١٩٩٨، ٢٩٩٦، ٣٥٠٨، ٣٩٩٨؛ والعجري، المختار، ص ٢٠٠.

(٤) أحمد بن عيسى، علوم آل محمد، ج ١، ص ٤٤٠.

استُحْدِثتْ حوله^(١)، وقبرها في البقيع في مقبرة أهل البيت عليهم السلام، حيث دُفِنَ بجوارها سبطها الحسن عليه السلام، وآخرون من ذريتها.

ولما ماتت سلام الله عليها، دخل علي عليه السلام قبرها، وهو يقول:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الممات قليل
وان افتقادي فاطما بعد أحمدٍ دليلٌ علي أن لا يدوم خليل^(٢)

وعن جابر بن عبد الله، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ قبل موته بثلاثٍ، وهو يقول لعلي: (سلام الله عليك أبا الريحانتين، أو صيك بريحانتي من الدنيا، فعن قليلٍ ينهدُّ ركنك، والله خليفتي عليك)، فلما قبض رسول الله ﷺ، قال علي: هذا أحدُ ركني الذي قال رسول الله ﷺ، فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال علي عليه السلام: هذا الركن الثاني الذي قال لي رسول الله ﷺ^(٣).

وهذه الرواية تبين مقدار الفاجعة التي تلقاها الإمام علي عليه السلام بفقدته هذين الركنين، كما تبين مقدار الفراغ الذي تركته فاطمة الزهراء في حياته سلام الله عليها، ومدى قوة العلاقة بينهما.

ومع ذلك فقد كان سلام الله عليه يزور قبرها في كل أسبوع

مرة، وينشد:

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج ٣، ص ٣٢.

(٢) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص ٢٧٠.

(٣) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ١٣٨.

إلى الله أشكوا لا إلى الناس إنني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحام أصابكم عتيت ولكن ما على الموت مُعتب^(١)
وهكذا طوى الموتُ سيدةَ نساء العالمين، وذهبت إلى بارئها ليبقى
نموذجها حيا خالدا في نساءنا المجاهدات العاملات اللاتي يواجهن الحياة
بكل قوة وتحديّ وشموخ مهما تكالبت عليهن الأحداث،
واشدت الأزمات.

(١) أبو طالب، تيسير المطالب، ص ١٣٨.

مَحَبَّاتُ الْكِتَابِ

- المقدمة ٣
- دوافع تأليف هذا البحث: ٧
- أهمية البحث: ٨
- لماذا عُيِّت الزهراء؟ ١٠
- مكة وبنو هاشم ١٤
- أمها خديجة ١٦
- إخوتها وأخواتها ١٩
- ولادتها ٢٠
- نشأتها ٢٤
- جهادها صغيرة ٣٠
- أسمائها وألقابها ٣٥
- وصفها الخُلقي ٤٠
- فاطمة في القرآن ٤١
- فاطمة في كلمات الرسول الكريم وتعاملاته ٤٦
- علمها ٥٨
- مروياتها الحديثية ٦٧
- المجاهدة .. بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٧٤
- موقفها من الشهداء ٨٠
- أم أبيها .. ولماذا؟ ٨٢
- زوجة علي عليه السلام ٨٨
- سنها عند الزواج؟ ٩١
- خطبتها ٩٣
- إيذانها ٩٤

٩٥.....	مهرها
٩٨.....	حُطبة العقد
٩٩.....	جهاز بيتها
١٠٢.....	وليبتها
١٠٥.....	زفافها
١٠٨.....	الزوجية إكرام وتقدير
١١٤.....	تعاونها
١١٩.....	خادمة البيت سيدة فيه
١٢١.....	أناقة .. وبساطة
١٢٢.....	زوجة المجاهد مجاهدة
١٢٨.....	أم الحسين
١٢٩.....	تسميتها
١٣٢.....	آداب النفاس
١٣٤.....	العقيقة ووقت التسمية
١٣٦.....	تربية أولادها
١٤٠.....	دورها الاجتماعي
١٤٣.....	دورها السياسي
١٤٤.....	فدك نحلته من أبيها
١٤٦.....	وفاتها وقبرها



"تلك المرأة الزكية المؤمنة المرضية الصديقة التي وصلت إلى ذروة الكمال الإيماني والإنساني، وتحركت من واقع الحياة تقوم بمهامها الفطرية من دون كلل ولا ملل ولا عتب ولا تنصلٍ عن المسؤولية، وعلى درجة عالية ومستوى عظيمٍ من التواضع، تقدّم الدرس المهم للمرأة المؤمنة، كيف تكون في واقع الحياة، في إطار مسؤولياتها المتعددة وفي مواجهة أعباء الحياة، في كل الاتجاهات والمجالات على المستوى الإيماني والعبادي التي كانت هي، التي سميت بالبتول منقطعة إلى الله سبحانه وتعالى، متبتلة منقطعة إلى الله عابدة متوجهة بصدق إلى الله سبحانه وتعالى، لكنها لم تكن بذلك منعزلة عن الحياة، في واقع الحياة، في طبيعة الحياة، في ظروف الحياة، لا بل امرأة تعيش مع زوجها مع أسرتها الواقع الحياتي المعتاد، ثم هي على ما هي عليه من علمٍ ومعرفةٍ وزكاءٍ وطهارةٍ وتقوى، تلك المرأة الخدومة المحسنة التي تحسن إلى الآخرين، وتهتم بالآخرين، مصدر عطاء، وينبوع خير، وينبوع إحسان، هكذا يريد الله للمرأة المؤمنة أن تكون مصدرا للعطاء والخير والإحسان، وهكذا كانت فاطمة القدوة، هكذا كانت فاطمة القدوة، والمرأة المؤمنة بحاجة إلى القدوة، وأن ترسخ في واقعها القدوة.

كلمة السيد القائد عبدالملك بدرالدين الحوثي

اليوم العالمي للمرأة المسلمة ١٤٣٥هـ

٢٠ جمادى الآخرة اليوم العالمي للمرأة المسلمة

« تلك المشاركة التي تقوم بها المرأة في الريف هي من تربي الأبقار، وتربي الأغنام، هي من توفر على أسرتها كثيرا من الأشياء التي يحتاج رب الأسرة إلى دفع فلوس كثيرة في توفيرها، هي تربي الأبقار، وتربي الأغنام، هي توفر الحطب، هي توفر الماء، هي تعمل جاهدة في المجال الزراعي .. أليست هذه هي المشاركة الحقيقية في التنمية؟ مشاركة تجعل الأسرة كلها تتحمل جميعا أعباء الحياة، .. هذه لم يعترفوا بأنها مشاركة بل يصنّفونها بأنها ظلم، وأنها امتهان للمرأة. من أين جاء هذا التقييم؟ من أين جاء؟»

الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي

رضوان الله عليه



المجلس الإسلامي الشوري

صنعا | ١٤٣٨هـ